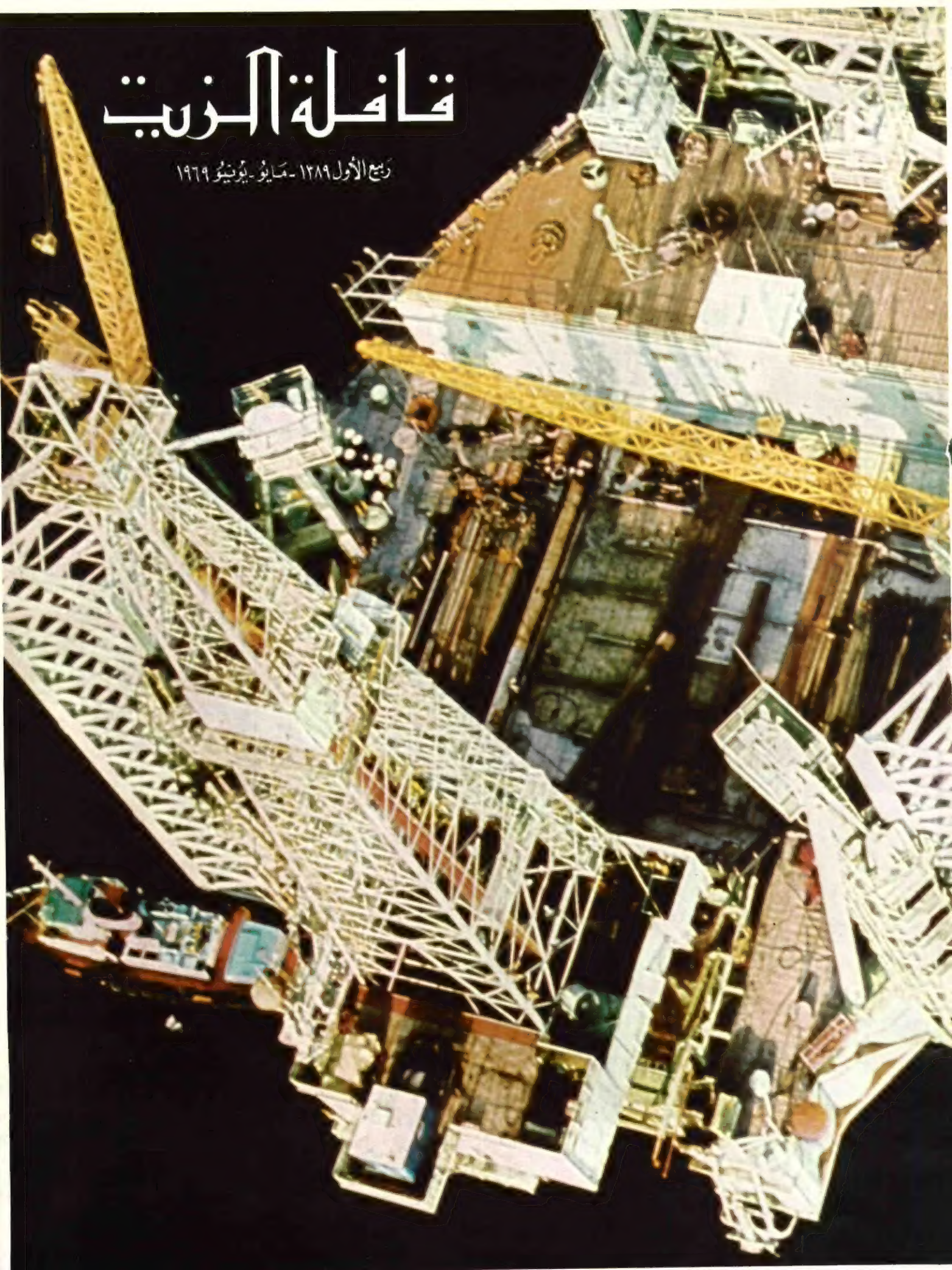


خافضة الزيت

ربيع الأول ١٣٨٩ - مايو - يونيو ١٩٦٩



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قافلة الزيت

العدد الثالث - المجلد السابع عشر

تصدّر شهرتيا عن :
شركة الزيت العربية الأمريكية
لموظفي الشركة - تونز جانا

رئيس التحرير منصور مدني
والمدير المسؤول
المحرر المساعد عون أبو شك

الطهران ، المصلحة العربية السورية
الطهران ، صندوق رقم ١٣٨٩

يجوز الاقتباس والنشر منها دون
إذن مسبق على أن تُذكر كمصدر

صورة الفلاف



تطلب عمليات التخطيط للزيت حفر عدد
كبير من الآبار المنتجة . (راجع المقال)
تصوير : برني مودي

محتويات العدد

صفحة

القافلة تسير

مولد الهدى رئيس التحرير ٢

آداب

- ٣ من رثاء الزوجة في الشعر العربي محمود الشقاوي
٦ مشعل الصحراء (قصيدة) د. زكي المحاسني
٧ البريد الأدبي وديع فلسطين
٢٤ قصة قلب (قصيدة) أحمد قنديل
٣٣ الطمع والطموح احمد حسين الطماوي
٤٦ اسطورة (قصيدة) محمد احمد العزب

علوم

- ٩ غرائب في حياة النحل سامي لبنان
١٧ الصحة النفسية والعقلية في المجال الصناعي د. أندراوس نقولا
٢٥ التخطيط في عمليات انتاج الزيت عصام العماد

استطلاعات

- ١٩ جبل طارق والعرب عبد العزيز الرفاعي
٣٥ مشاريع بترولين في حقول المعادن والصناعات التعدينية د. عبد الله حشيمة

قصّة

- ٤١ وفاء المعتمد عبد الله حشيمة

كتب

- ٤٧ على الجسر عزت محمد ابراهيم
٤٩ الحركة الأدبية في العالم العربي

الضلالة بقاع الأرض ، وانتشرت الغواية بين بني البشر ، الا من نذر منهم ، وسدرت قريش في مبادها لا يردعها رادع من قول أو عمل ، فأباحث الدماء والأموال والأعراض ، وامتهنت حرمة الكعبة المشرفة ، فأقامت في أركانها الأصنام من الطين والحجارة ، واتخذت الأنصاب والأزلام من التمر والدقيق ، فكانت تخشع لها بالعبادة تارة ، وتتجنى عليها بالأكل تارة أخرى .. ان مسها ساغب الجوع . وانتهلك الخمس من قريش الحرمات فدفعوا النسوة الى الطواف بالكعبة عاريات ، كما ولدن . وسولت نفس أبرهة الحبشي له أن يعتدي على البيت العتيق ، فجهز جيشا عرمرما جعل في مقدمته القبيلة ، ولم يلبث سكان مكة - حين رأوه - أن سلموا أمر البيت لصاحبه : « .. وليبت رب يحميه » ، فأباد الله جيش أبرهة بعصابة من الطير سلاحها « حجارة من سجيل » .

في ذلك العام ، وفي مثل هذا الشهر ولد فتى يتيم الأب ، لعائلة فقيرة من قريش . قالت أمه : « لقد حملت به ، فما وجدت له مشقة حتى وضعته ، فلما فصل مني خرج معه نور أضاء له ما بين المشرق والمغرب ، ثم وقع على الأرض معتمدا على يديه ، رافعا رأسه الى السماء » . وقالت زوجة أبي العاص ، وكانت قد حضرت مولده : « لقد شهدت ولادة آمنة بنت وهب ليلة ولده ، فما شيء أنظره في البيت الا نور . ولقد رأيت النجوم تدنو ثم تدنو ، حتى خشيت أن يقعن علي » .

كان ذلك مولد الهدى الذي اصطفاه الله ليكون مبعوثه الى العاملين . ولحكمة ما كان مولده في بطن مكة ، وكان الكتاب الذي أنزله عليه فيما بعد « بلسان عربي مبين » ، وكان انحدره من قبيلة عربية . فحق للعرب اذن أن يفخروا ما جعلوا الكتاب دستورهم والنبي أمامهم .

وقد بُعث النبي العربي في أمة لا حول لها ولا قوة ان هي قيست بغيرها من الأمم السائدة حينذاك . بيد أن هذه الأمة المستضعفة لم تلبث الا يسيرا حتى ملكت برسانتها السمحاء ودعوتها الحقّة العالم شرقا وغربا ، بعد أن نبذت ما كانت منغمسة فيه من ترهات ، وتخلصت مما كان ينخر في بناء مجتمعها من آفات ، فتركت الواد والثأر ، وسأوت بين بني البشر لا يفضل بعضهم على بعض الا بالتقوى ، وتكتلت ، وتكاثفت ، واعتصمت بحبل البر والاحسان .

وبعد ، فما أحرانا في مثل هذا الوقت من كل عام أن نقف لحظة فنرى الى أي مدى استجبنا لداعي الحق والخير والفضيلة ..

رئيس التحرير

مولد
الهدي

من رثاء الزوجة في البيت العريسي

بقلم الاستاذ محمود الشرفاوي

في أعناقهم التمام :
ولتهت قلبي اذ علتني كبرة
وذوو التمام من بنيك صغار
أرعى النجوم ، وقد مضت غوريّة
عصب النجوم كأنهن صوار (١)
ثم يصف خلقها الكريم ورعايتها له وجمالها
الساكن الوقور فيقول :
كانت مكرمة العشير ولم يكن
يعشى غوائل أم حزرة جبار
ولقد أراك كيت أجمل منظر
ومع الجمال سكيّنة ووقار
والريح طيّبة اذا استقبلتها
والعرض لا دنس ولا خوار (٢)
ولم يعف جرير غريمه الفرزدق من اللوم

وأحسنوا ورثوا هؤلاء الزوجات رثاء باقيا :
• جرير والفرزدق : مع ما نعرف من التخاصم
والندابر الذي سيطر على نفس الشاعرين الكبيرين
وجعل حياتهما وشعرهما سجلا ممتدا حافلا من
الهجاء ، فنحن نجد هنا قد التقيا عند هذه العاطفة
الكريمة : الوفاء للزوجة . نجد لجرير هذه
القصيدة الباكية الحزينة في رثاء زوجه « خالدة »
أم ولده « حزة » .
لولا الحياء لعادني استعبار
ولزوت قبرك ، والحبيب يسزار
ولقد نظرت ، وما تمتع نظرة
في اللحد حيث تمكن المحضار
ثم يصف حاله وسهره بعد فقدانها وقد كبرت
سنه ، وتركته له صغارا ضعافا لا تزال معلقة

ورحمة وسكيّنة : تلك هي أصدق
مُسوّدة الأوصاف والصفات وأجملها في
وصف العلاقة الزوجية ، كما قال الله تعالى :
« ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا
لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة » . وقال
تعالى : « هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل
منها زوجها ليسكن إليها » .
هذه العشرة الكريمة الخالدة القائمة على أكرم
العواطف ، اذا أراد الله لها أن تنضم بوفاة الزوجة ،
فكيف يقع ذلك من نفس الزوج وقلبه واحساسه ؟
وكيف يجيد الشعراء وصف هذه الاحساسات
والعواطف ؟
في أدبنا نجد طائفة غير قليلة ممن عبّروا عن
حزنهم لفقد زوجاتهم ، وفجيعتهم فيهن ، فأجادوا

(١) عصب النجوم : فرقها ، والصوار قطع بقر الوحش . (٢) القصيدة طويلة ، وهي من ديوان جرير ، بشرح محمد اسماعيل عبد الله الصاوي .

والهجاء في هذه القصيدة ، ذلك لأنه عاب « خالدة » ولامه على رثائها ، فالمرأة - في رأي الفرزدق - ليست مما يحزن الرجل لفقدته ، ولكن الفرزدق نفسه عندما طلبت زوجته « نوار » الطلاق منه ، لسوء خلقه كما قالت ، طلقها ، ثم ندم على طلاقها ، وقال في حزنه عليها هذه الأبيات الصادقة الاحساس :

ندمت ندامة « الكسعي » لما غدت مني مطلقة « نوار » وكانت جنتي فخرجت منها كآدم حين لجّ به الضرار وكنت كفأقيء عنيه عمدا فأصبح ما يضيء له النهار وما فارقتها شعا ولكن رأيت الدهر يأخذ ما يعار . وماتت زوجة أعرابي وتركت له طفلا رضيعا يبكي لفقدتها ، فقال أبوه يصف حاله وحال الطفل ويرى أن كليهما يتوجع لفقدتها ، حتى لا يعرف أيهما أكثر وجعة من صاحبه :

فوالله ما أدري ، إذا الليل جنّتي وذكرنيها : أينما هو أوجع أمفصل عن ندي أم كريمة أم العاشق النابسي به كل مضجع . ومسلم بن الوليد ، صريع الغواني الذي عاش حياة عابثة لاهية ، والذي وصف حياته هذه ، فقال :

نفسى تنازعني اللذات دالبة وانما اللهو واللذات من أربي الشاعر الذي عاش حياته تلك يحدث رواة أخباره أنه كانت له زوجة من أهله كانت تكفيه أمره وتستره فيما تليه له منه ، فماتت ، فجزع عليها جزعا شديدا ، وتنسك مدة طويلة ، وعزم على ملازمة ذلك ، فأراد بعض أخوانه أن يرفه عنه فأنشأ يقول :

دعائي وافراط البكاء فأنني أرى اليوم فيه غير ما تريان غدت والثرى أولى بها من وليتها إلى منزل ناء لعينك دانسي فلا حزن حتى تزف العين دمعها وتعترف الأحشاء للخفقان وكيف بدفع اليأس والوجد بعدها وسهماهما في القلب يعتلجان فهذه الزوجة البارة التي أسعدت زوجها في حياتها كانت سببا في توبته عن مجونه .

« ومويلك المزموم يقول في رثاء زوجته « أم العلاء » ، وكانت قد تركت له يتيمة صغيرة

يثير ضعفها الرحمة حيث لا تجزع على أمها الرحمة الحلوة الشماثل ، لأنها ، لصغرها وضعفها ، لا تدري معنى الجزع ، فإذا سمع أبوها أيتها في الليل طال بكأوه :

فلقد تركت يتيمة مرحومة لم تدر ما جزع عليك فتجزع فقدت شماثل من لزمالك حلوة فتيّت تسهر أهلها وتفجع وإذا سمعت أيتها في ليلها طفقت عليك شؤون عيني تدمع . ونعرف من تاريخ « محمد بن عبد الملك الزيات » وزير « المتوكل العباسي » أنه كان قاسيا مع خصومه وخصوم الخليفة ، حتى أنه كان يقول لمن يطلب إليه الرحمة منهم : « الرحمة خور في الطبيعة » . ثم ماتت زوجته فرثاها بهذا الشعر الذي يفيض بالحزن واللوعة والصدق :

ألا من رأى الطفل المفارق أمه بعيد الكرى عيناه تبتدران يرى هذا الطفل الباكي الأمهات وأبناءهن يتناجان في الليل ، وهو وحيد في فراشه يفيض قلبه بالحزن :

رأى كل أم وابنها غير أمه ببستان تحت الليل يتنجان وبات وحيدا في الفراش تحشه بلابل قلب دائم الخفقان يقول لصاحبه : لا تلوماني على البكاء ، فأنا أداري بهذا الدمع ما تريان من الحزن .

وان قبرا في الثرى يضم من كان يملأ كل قلبي ، لأحقّ مكان بالزيارة وتعلق القلب ، فعسى أن تكونا أيها الصديقان في انتظاري إذا رجعت إلى مكان الحب والحنين هذا :

فلا تلحيانني ان بكيت فأنما أدأوي ، بهذا الدمع ، ما تريان وان مكانا في الثرى خط لحده لمن كان في قلبي بكل مكان : أحقّ مكان بالزيارة والهوى فهل أنتما ان عجت ، منتظران ؟

« وفي ترجمة « ابن جبير » الرحالة الأندلسي ، نجد أن له شعرا ، بل ديوانا من الشعر ، قاله في رثاء زوجته خاصة ، وكان اسمها « أم المجد » وقد حفظ لنا تاريخه اسم هذا الديوان الذي يدل على مكانها عنده كما يدل على حزنه البالغ عليها :

« نتيجة وجد الجوانح ، في رثاء القرين الصالح » ولكنني لم أستطع أن أجد - رغم بحثي وصبري -

من شعر هذا الديوان شيئا . أما « السيد مرتضى الزبيدي » المحدث اللغوي صاحب « تاج العروس من شرح جواهر القاموس » فقد ماتت زوجته « زبيدة » ، فحزن عليها حزنا شديدا ، وقال في رثائها شعرا كثيرا ، منه :

خلي : ما للأنس أضحي مقطعا وما لفؤادي ما يزال مروعا أمين غير الدهر المشتّ وحادث ألمّ برحلي .. أم تذكرت مصرعا ..؟ والا فراق من أليفة مهجتي « زبيدة » ذات الحسن والفضل أجمعا مضت فمضت عني بها كل لذة تقرّ بها عيني فاقطعها معا فمن مبلغ صبحي ، بمكة ، أنني بكيت فلم أترك لعيني مدمعا ومن شعره فيها :

أقول ، وما يدري أناس غدوا بها إلى اللحد ، ماذا أدرجوا في السباب تأخرت عنها في المسير ولتني تقدمت لا ألوي على حزن نادب وأجود ما حفظ من شعر « المرتضى الزبيدي » هو الذي رثى فيه زوجته تلك .

« وفي العصر الحديث نجد آخرين من الشعراء رثوا زوجاتهم رثاء صادقا حزينا ، منهم « محمود سامي البارودي » الذي ماتت زوجته وهو في المنفى بجزيرة سرنديب « سيلان » ، وكان قد كبر سنه وكفّ بصره ، فقال يرثيها ويبكيها :

أيد المنون : قدحت أي زناد وأطرت أية شعلة بفؤادي أوهنت عزمي وهو حملة فيلق وحطمت عودي وهو رمح طراد ومنها :

ما كنت أحسني أراع لحادث حتى منيت به فأوهن آدي(٤) يا دهر فيم فجعتني بحيلة كانت خلاصة عدتي وعنادي ان كنت لم ترحم ضناي لبعدها أفلا رحمت من الأمسى أولادي ؟

* * *

ومن البلية أن ينام أخو الأمسى رغيّ التجلد وهو غير جماد هيهات بعدك أن تقرّ جوانحي أسفا لبعدهك أو يلين مهادي فاذا انتهيت فأنت أول ذكرتي وإذا أويت فأنت آخر زادي

ما بين سقم باطن أكل الحشا

بلهب سورته وسقم باد
يذكر ما كان يأمل من العودة الى
وطنه بعد هذا النفي ، حيث يلقاها
وتلقاه : كان عزاءه في الحياة وسلوى غربته
الذي يعيش ليراه أن يذكر هذا الأمل الذي
حال دونه موتها ، فيقول في ختام قصيدته راضيا
بأن سيلقاها يوم القيامة :

قد كدت أقضي حرة لو لم أكن
متوقعا لقيالك يوم معادي
فعليك من قلبي التحية كلما
ناحت مطوقة على الأعواد
وهي قصيدة طويلة تحوي « ٦٧ بيتا » فيها
من الاحساس القوي والشعر الصادق شيء
كثير .

ومن المعاصرين الذين فجعهم الموت في
زوجاتهم الشاعر الأديب الفلسطيني المرحوم
« خليل السكاكيني » وله في رثاء هذه الزوجة ،
وكان اسمها « سلطنة » شعر ونثر جيد كثير ،
وقد ظل بعد موتها يردد ذكراها ، ويستعيد أيام
سعادته معها ، فما يزيد هذا التذكر الا لوعة
وأسى . يقول :

تذكرت أيام السعادة عليها
تخفف من حزني ، وتشفى حزازتي
وقلت : لقد كنا وكنا فزادني
أسى والتباعا ذكر تلك السعادة
فحاولت أن أنسى فلم تجد حيلتي
ولم يكن النسيان طوع ارادتي
تجلدت لكن لم يفدني تجلدي
شكوت ولكن لم تفدني شكايي
وهو يتعلل بالأمل الكاذب ، ويحس أن عمره
كله أصبح شيئا تافها ليس وراءه غاية ولا منه
جدوى ، وصارت لياليه نواحا متصلا متلاحقا
وليس له سلوى غير قبرها :

تعللت بالآمال أقرب وقتها
فلم تكن الآمال غير علالة
وأصبح عمري بعد ذلك فضلة
أروح وأغدو فيه من غير غاية
وعادت ليالي الملاح مناحة
تقام بها الأتراح اثر مناحة
وبدل عيشي بعد صفوى غصة
أرددها في الصدر دون اساعة
ولم يبق لي من سلوة غير قبرها
اليه أوالي ، ما حيت ، زيارتي

فاذا جاء يوم ذكرى ميلادها استبدت به
ذكراها وأغرقت في حزن عميق وغمرت ذكري
أيامها السعيدة الهنية قبل أن يهدم الدهر صرح
سعادتهما فلا يجد سوى البكاء عزاء وسلوى :

أسعفاني بالبكاء
ودعا كل عزاء
لا تقولوا : الصبر يجدي
حين يشتد البلاء
ليس يجدي الصبر ان لم
يسك في الصبر رجاء

آه واشوقي الى
سلطانتني : زين النساء
آه واشوقي الى
أيامنا الغرّ الوضاء
يوم كنا نغنم الأنس
صباحا ومساء
يوم كنا نتعاطى
أكوؤ الصفو ملاء
يوم كنا سعداء

يوم كنا سعداء
جمع « خليل السكاكيني » أغانيه
الحزينة هذه في ديوان سماه
« لذكراك » يقصد زوجته « سلطنة » . ومن أجود
ما فيه قصيدته التي سماها باسم الكلمتين الأوليين
من معلقة « امرئ القيس » : « قفا نيك » ،
ولكن « امرؤ القيس » يخاطب رفيقه ،
و « خليل السكاكيني » يخاطب عينيه ليجودا
بالدمع الغزير :

قفا نيك من ذكرى أذابت حشاشتي
ولا تبخلا بالدمع ، فالدمع حاجتي
قفا أسعفاني في مصابي فأنسي
أراه مصابا قد تجاوز طاقتي

تلفت علي أن أراها فجاءة
وأصغيت علي أن أفوز بنأمة
وقلت : هنا عاشت ، وهذا مكانها
وكدت أناديبها ، على مثل عادتي
فلم ألق الا خدعة بعد خدعة
ولم ألق الا ما يشقّ مرارتي
ومن أجود وأصدق ما قيل في الشعر في رثاء
الزوجة هذا الذي نجده عند « عبد الرحمن صدقي »
في ديوانه : « من وحي المرأة » يقصد بها زوجته ،
وكانت ايطالية متمصرة قارئة واسعة الثقافة دخلت

حياته ، فملأتها بالنظام والبهجة والاشراق ،
وجعلته يعود الى الشعر بعد انقطاع . فلما ماتت
بعد أربع سنوات قصار كتب في رثائها ثلاثين
قصيدة تضمنتها هذا الديوان . من هذه القصائد
قوله :

كان لي في أخريات الـ
عمر بيت ، فعدمته
سنوات أربع أم
كان ذا حلما حلمته
برهة ، وانتبه الدهر
فعفسي ما رسمته
أنرى الرضوان ذنبا
أنمته وأنمته؟
كل ما أعرف أني :
كان لي بيت عدمته

وقوله :
فغاضت كما غاض الربيع ، وانما
ربيعي بعد اليوم هيهات يورق
شريكة درسي : تلك أسفار مكثبي
خرسن وكانت في جوارك تنطق
فما لي الى الأسفار بعدك نهضة
ولا متعة فيما يشوق ويونق
وكنت جعلت القفر حولي جنة
وقام من القوضى نظام منسق
فخلقت في بيتي سرايا بقية
صوانك بالأبراد والحلي يبرق
الشاعر « يوم ذكرى ميلاده »
وكيف كان هذا اليوم قبل موتها
يحمل له الأفراح والمسرات ولقاء الأجرة ،
فلما عاد بعد موتها وجد بيتا مهبطا مهبطا
يشتمل على أشباح أجساد . ثم يذكر فقد
هذه الزوجة وما فعل به :

أقول ، والقلب في أضلاعه شرق
بالدمع : لا عدت بي يا يوم ميلادي
نزلت بسي ودخيل الحزن يعصف بي
وفادح البث ما يتفك معنادي
وكنت تحمل لي ، والشمل مجتمع
أنسا يقبض على زوجي وأولادي
فانظر ترى الدار قد هيضت جوانبها
وانظر تجد أهلها أشباح أجساد
فقدتها خلّة للنفس كافية
تكاد تغني غناء الماء والزداد
تحنو علي وترعائي وتبسط لي
في غمرة الرأي ، رأي الناصح الهادي ■

مشعل الصحراء

للمكنور الشاعر زكي المعاني

فأثار ذكرى الحب في النادي
عشنا بهن برائع غادي
نامت بلا صوت ولا عادي
يد لاس أو خطو مرتداد
طرب تردد عند أعياد
فتنوح فني محزون انشاد
ووعى لها مكنونها البادي
لأكون فيها بين أنداد

فوق الرمال بجمر وقاد
وطوى الفيافي نحو آماد
تبدر بشائره لرواد
فني رملك المساح أجادي
ونخلها فني عهد اسمادي
أنا سابع في مائها الهادي
قدمي لدى سهل وفي الوادي
ويدوم مرتعها لقصاد
منها المثال كوثي أبراد
أبياتها ببديع آباد
يسري على ترادها الخادي
والليل حثث نثار أجواد
وعلى الحضارة ألفت زهاد
بالمعرب ، عنعنه بانساد
من في الخيام اليوم من صادي

واشفع معانيه بامداد
فتح الفتوح بنور ميلاد
مجدا له من خلف أمجاد

تحيا اليوف بغير أغماد
هتفت له الذكرى ببيعاد
وأجل اليوف ليوم اعداد
والله عونهما بانجاد

جاء الربيع بشهره الشادي
والذكريات خواطر سحت
هي كالطيور لدى مكانها
حتى تحرك حلو مضجعا
فتب تملأ ساحها ، وطا
أو رنة العبرات تخنقها
يا من رأى الأطياف ساجدة
يا ليتني معها على فن

ركب مثنى والشمس لافحة
من منبج الصحراء مطلقه
حمل الحجى والخير مشعله
صحراء ، يا عز الدنى رقبت
ردوا على رفيف واحتها
هي بحر أحلامي بلا غرق
أني طبع على مجائنها
ورجوت ريح الصبح تملؤها
أنظر إلى الأشعار ، أن لها
« الصححان » قصيدة نظمت
فيها القوافي نفمة عزفت
لملم هوأي على مرابعها
رغم الحضارة لت أبرحها
تحت الخيام لضجعتي وله
وتطيب ذكراها ويحزنها

هات الربيع على اسم أوله
ذكرى الرسول محمد وبه
تروى القصور على ترادفها

قل للحمام ، بلثم صفحته :
كان الرسول محاربيا ولقد
كفكف دموعك ما أفاد بكى
فالمعرب والاملام معتصم



بقلم الاستاذ ود.ع. فلسطين



البريد الدي

لعل الناس عند الفراق لم تعد تسكب أدمعاً سخينة وتحمل همّاً ثقيلاً كما كان حالها في غواير العهود ، فقد غدا العالم « قرية صغيرة » يذرعها المسافر في يوم أو بعض يوم ، وأصبح أنأى الديار على بعد فرائس قليلة بفضل مارقات الجو ذوات الجناح الفضي ، بل لعل الناس أصبحت على اتصال وثيق دائم بفضل السلكي واللاسلكي ، أو لعلهم صاروا في المواجهة تماماً بفضل التلفزيون وما نحن بسبيل انتشاره من أجهزة الهاتف التلفزيون المرئي ، فيتحدث الحاضر مع الغائب حديث مشافهة ومعاينة واصباحة في آن واحد .

بيد أن هذه الوسائل جميعاً لم تلغ الحاجة إلى البريد ، وما أسعد الناس بريدهم الوافد ، وما أحرصهم على بريدهم الذاهب ، ففي البريد غصارة القلب وذوابة القواد وحرارة الشوق ودفع العاطفة وجهارة المصارحة . وفي البريد المطوي همسات المتهمسين ومطارحات المتطارحين ونجوى المتناجين ، وفيه يخاطب القلب القلب بغير حجاب ، ويسطر القلم ما يجول في الذهن من آراء وما يصطرع في النفس من مشاعر بلا حرج . فللبريد حرمة ، وله خصوصية ، ومن محرماته ضنائن يعتز بها أصحابها ، وكثرة من الشرائع تنتقم من الذين يعثون بالبريد ويتطفلون عليه لأنهم بذلك يتلهون بأسرار الناس وأخبارهم ، ويتلصصون على نبضات القلوب بسماحة وفجاجة وغلظة .

ولم يفت الشعراء أن يتناولوا البريد وسعاته في شعرهم المروي . فإذا استنجدنا بالذاكرة - وهي خوون - أسعفتنا بأبيات للشاعر شفيق معلوف يصف فيها ساعي البريد وكأن همه الوحيد في الحياة هو توزيع البسمات على الشفاه وحمل الرسائل التي « تفوح منهن أطياب المواعيد » . فهو يقول :

ساعي البريد وما ينفك منطلقاً
وكل باب لديه غير موصود
يسعى بأكداس أوراق مغلفة

تفوح منهن أطياب المواعيد
أما الشاعر محمد عبد الغني حسن ، فإنه منذ ما اغترب عنه أنجاله الثلاثة إلى أعماق البرازيل السحيقة نشدانا لأسباب النجاح مهما استعصى سبيلها ، جعل نفسه مرصداً لحركات ساعي البريد ، يرقبه من الشرفة ومن

النافذة ومن السطح والدرج ، ويهرع إليه بخطف متسارعة عسى أن يكون في جملة اضماماته رسالة أو بطاقة من « نيل » أو أخويه . وله في هذا المعنى قصيدة من خوالد الدرر .

ومن الشعراء من استصوب جعل الرسائل وقوداً لآلئ النار ، حتى أن الدكتور إبراهيم ناجي استيقظ ذات ليلة من عصبية الليالي ، يعالج أسباب النوم ، ولا نوم ، ويحاول الرقاد ، ولا رقاد ، وكيف يغفو وفي خزانته رسائل زرقاء ترقد « كالطفل في أحلامها » ، فنهض هاتفاً :
**وحلفت لا رقدت ولا ذاقت شهية منامها
أضمرت فيها النار تسعى في عزيز حطامها !**

وعلى هذا النهج سار الشاعر نزار قباني مستجيراً بالنار من حلو الرسائل ، فقال :

غدا إذا جاء أعطيه رسائله
ونظعم النار أحلى ما كتبناه
ولئن كان البريد الدارج بين سواد الناس حافلاً بأمور دارجة لا تفيد كثيراً في أغراض الحياة ، إلا من حيث اشباع الفضول إلى جديد الأخبار والاطمئنان على الصحة والأحوال ، فإن البريد الذي يتبادله أولو الرأي وأهل الفكر ورجال العلم والقلم يتميز على ما عداه من بريد بأنه قلماً يدور في دوامة الحياة اليومية الرتيبة ، وقلماً يعالج المسائل العارضة التي تفقد جدواها سريعاً ، والأرجح أن مادته تنطرق إلى المشكلات الأدبية والفكرية ، وتبدي فيها من الآراء ما لا تأذن الظروف الملائمة بأبدائه والجمهور به . وهذه الرسائل ، بحكم خصوصيتها وسريتها ، لا تخلو من مكاشفات في أمور شخصية أو مطارحات في أمور عامة شجع على الخوض فيها أن الكاتب يعرف سلفاً أن رسالته غير مأذون لها بالذبوع والانتشار ، وأن كلامه إنما يراد به شخص بعينه ولا تراد به كثرة كاثرة من الناس .

على هذا نشط سعاة البريد يحملون رسائل أهل العلم والأدب ، ونشط محبّو المراسلة في تدوين خواطهم مرسلّة مطلقّة حرّة على الورق ، وهكذا رأينا قوماً من طبقة أحمد تيمور ، والأمير شكيب أرسلان ، والشيخ محمد رشيد رضا ، والأب أنستاس ماري الكرمل ، ومصطفى صادق الرافعي ، وأمين الريحاني ، وممي ، يبرون أقلامهم - ولم تكن المراقم (الآلات الكاتبة) قد شاع استعمالها - ويحررون الرسائل المطولة شرقاً وغرباً ، يصلون بها الحبال

مع أضرابهم من أهل الرأي ، ومع طلابهم والمتعلمين عليهم ، ومع المعجبين بأدبهم والمهورين بتفكيرهم ، بل مع الذين يبعون مجادلتهم في شأن من شؤون اللغة أو أمر من أمور الدين أو الدنيا .

مس أن طائفة من هذه الرسائل قد نشرت على الناس ، فنشر كوركيس وميخائيل عواد رسائل تيمور باشا إلى الأب الكرمل ، ونشر محمود أبو ريه رسائل الرافعي إليه ، ونشر الشيخ الدكتور أحمد الشرباصي رسائل شكيب أرسلان إلى الشيخ رشيد رضا ، ونشر الدكتور جميل جبر وطاهر الطناحي رسائل مي إلى جمهرة الأدباء ، ونشر سامي الكيالي رسائل أمين الرافعي ، ونشر أحمد محمد عيش رسائل الشاعر جميل صدقي الزهاوي ، فإن جملة كبيرة من رسائل أولئك الأعلام ما زالت طي الكتمان ، أن لم تكن اجتاحتها عناصر البلى والاهتراء بل العدم . يضاف إلى ذلك أن هناك أدباء ومفكرين غيرهم قد أثر عنهم حب المراسلة والمكاتبة ، فحرروا آلافا من الرسائل في المشرق والمغرب ، وساعد على التوسع فيها سرعة البريد الطائر وقلة نفقته .

فعرفنا أن للمجاهد الكبير محمد علي الطاهر رسائل إلى معظم الأسماء المعروفة في تاريخ العرب الحديث (وهو قد نشر مجموعة من رسائل الرئيس الحبيب بورقيبة إليه) ، وعرفنا كذلك أن للدكتور أحمد زكي أبي شادي رسائل كان مستقبليها ضنين بها وهم كثر في الأقطار العربية والإسلامية وفي المهاجر ودوائر الاستشراق ، وقد رأيت صوراً كربونية من هذه الرسائل مسجاة في أضيائها المنسقة المنظمة ضمن مخلفات أبي شادي في « واشنطن » ، وعرفنا أن الأديب المهجري نظير زيتون قد كان بدوره فارس ميدان مجلياً في هذا المضمار ، يكتب الرسائل بأسلوبه المسجوع المترسل القريد ، حتى لتقع الرسالة الواحدة في عشر صفحات ، وكلها متضدة بسجعة واحدة أو سجعيتين وعرفنا أن زميله الشاعر المهجري جورج صيدح هو بدوره سباق في ميدان المراسلة ، وما أكثر ما يفيض به قلمه من المناجيات البريدية لأصدقائه في الدنيا ، وهي مناجيات تتميز — فضلاً عن ألفاظها المسددة المنتقاة وتعبيراتها البليغة الكيسة الأداء — بنظرات صائبة في مناحي الأدب ، واستدراكات لا معدى عنها لما يقع فيه الدارسون والباحثون من زلل وغلط ، بعضه

غير مغفور ، وعرفنا كذلك أن البحثة المدقق عجاج نويهض هو بدوره من الراكضين في حلقات البريد ، ورسائله تقع الواحدة منها في عشرين صفحة أو يزيد ، يخلص منها قارئها بنظرات فلسفية في الأدب والحياة وشؤون الفكر وأحوال الناس .

مس همنا أن نحصر المكاتبين جميعاً في دائرة مقال فرد ، وأنى لنا ذلك وهم قد كانوا ولا يزالون منتشرين في الدنيا ، يعدون بريدهم من الضمائم الأثيرة ، ويدودون عنه أشد ديدان . ويعتزون به اعتزازهم بأثر أدبي ثمين أو بتحفة تاريخية مخطوطة ليس لها شبيه أو مثال . ثم إن هذه الرسائل كانت ولما تزال معدودة من الأوراق الشخصية التي لا تنالها قوانين حفظ التراث ولا تطالها التشريعات المتعلقة بالوثائق التاريخية ، كما أن الأعراف قد جرت على اعتبار البريد ملكاً لا لكاتبه ، بل لمن قد أرسل إليه .

ولقد يعنى لسائل أن يسأل : إذا كانت لمثل هذه المراسلات قيمة أدبية أو فكرية أو تاريخية عظيمة ، فلم لا ينهض الباحثون بجمع فرائدها ونشرها قبل أن تندأوا أيدي العث أو يفتك بها الذين لا يميزون حروفها (كما حدث لأوراق إيليا أبي ماضي وزميله الأديب المهجري عبد المسيح حداد ، فقد تخلص منها الذين آلت إليهم لأنهم لم يستطيعوا تمييز ضاداتها) ولقد كنت في يوم ماض داعية لجمع هذا التراث من المناجيات ، مشجعاً على صونه من أسباب البلى ، ولكنني راجعت نفسي بعد ذلك تلقاء حقائق لا محيص من ادخالها في كل حساب .

صحيح أن بعض هذه الرسائل يلقي ضوءاً ساطعاً على جوانب تاريخية مجهولة أو زوايا أدبية مغفلة ، وصحيح أن كاتبها قد أثبتوا فيها آراء بعضها معروف عنهم وبعضها جديد عليهم وما كان اعلانه ميسوراً في أيامهم ، ولكن رائدهم الأول في كتابة هذه الرسائل هو اطمئنانهم إلى أنها باقية طي الخفاء إلى الأبد ، وأن النشر أو الإذاعة غير مقصودين أو واردين . ولعلهم لو عرفوا أن رسائلهم ستنتشر على الناس في يوم ما ، لأحجموا عن كتابتها أصلاً ، أو لتغير أسلوبهم ومنهاجهم عند الكتابة . وفي اعتقادي أن هذا الاعتبار هو في صميم الأخلاق ، ولا بد من

مراعاته ، فتبقى للخصوصيات خصوصيتها ، أما العموميات فهي معروضة في الطريق للقارئ والدارسين .

مس إن أغلب هؤلاء المراسلين ما زال قريب العهد بنا موصول السبب بالناس . ولئن انقطعت صلة بعضهم بالحياة ، فإن لهم من أصلابهم وأنسابهم قوما ما زالوا يضطربون في الدنيا أشد اضطراب ، وأولئك قد يضارون برأي ساقه أبوهم في رسالة ، أو تنالهم جريرة عبارة انطوى عليها خطاب شخصي من ربع قرن أو نصفه . وحتى الذين نشروا رسائل الأدباء والكتاب قد جابهوا شيئاً من الحرج الطبيعي في اثبات كامل النص ، فعمد محمود أبو ريه إلى حجب بعض رسائل الرافعي ، كما حذف أسماء من بعضها الآخر ، مراعاة لظروف وملابسات قائمة ، ولعل بعض هذه الظروف والملابسات يبقى قائماً زمناً طويلاً . يضاف إلى ذلك أن نشر بعض هذه الرسائل قد جنى على صاحبه ، وبعدها كان الرجل مرموقاً بعين الاحترام والتوقير ، استخرج الباحثون من ثايات رسائله ألفاظاً وعبارات تلبسه ثوباً غير ثوبه الذي كان يطالع به الناس ومزاجاً غير المزاج الذي كان معهوداً فيه من الجمهرة الكبيرة . فاذا كان المراسل أدبية كمي ، نالها من نشر رسائلها رشاش كانت غنية عنه .

يضاف إلى ذلك أن كل الرسائل الشخصية لا تخلو من المجاملات المرعية بين الناس ، ولهذا نرى نظير زيتون مثلاً يسبغ ألقاباً فضفاضة وأماديج سخية على الذين يكاتبهم ولو كانوا شدة ناشئين يجهلهم المجتمع الأدبي وتخفى قيمتهم عن معاصريهم . ولو عهد أولئك إلى نشر ما بين أيديهم من رسائل كبار الكاتبين ، لاستقامت لهم في الحياة الأدبية « تزكيات » من أعلى المستويات ترشحهم لمزلة هي أكبر من استحقاقهم . فاذا اعتبرت هذه المجاملات أحكاماً نقدية ، لم تصمد على محك الدراسة الأصيلة وأسأت إلى ذوبها .

وخلاصة الخلاصة أن البريد الأدبي الذي يتداوله رجال الأدب والفكر في صلاتهم الشخصية ينبغي أن تبقى له خصوصيته . فليس مكانه في متحف « يتفرج » عليه الناس ، وليس موضعه في كتاب « يتسلى » القوم بقراءته ، وليس من خصائصه أن تنبني عليه أسس دراسة أو قواعد نقد . ومكانه الطبيعي أدراج الخزائن ■

أحدى العائلات وهي منشغلة بامتصاص
رحيق بعض الأزهار .



غزل النحل في حياة النحل

بقلم الاستاذ سامي لبنان

وضع البيضة التي تفقس عنها ، وبعد ذلك
بحوالي أسبوع تصبح مؤهلة للتلقيح ، وتخرج
من الخلية في رحلة لذلك الغرض ، كثيرا ما تكون
الأولى والأخيرة بالنسبة لها . ويرافق الملكة في هذه
الرحلة التي تستغرق ما بين خمس دقائق ونصف
ساعة جميع ذكور الخلية . ويتم التلقيح في
الهواء الطلق ولا يحظى به من بين مئات الذكور
الذين يرافقونها الا ذكر واحد . وبعد التلقيح بثلاثة
أيام تقريبا تبدأ الملكة بوضع البيض ، وتستمر
في ذلك لفترة قد تصل الى أربع سنوات أو أكثر .
أما الفئة الثانية ، التي تسكن القفير فهي
فئة ذكور النحل . ويختلف الذكر عن

وعادة ، تكون الخلية الواحدة من ثلاث فئات
من النحل تختلف من حيث الشكل والحجم
وطبيعة العمل الذي تقوم به . والفئة الأولى تمثل
الملكة وهي وحيدة في القفير ، وتختلف عن غيرها
من سكان الخلية بافراط طولها وقصر أجنحتها .
وتقتصر مسؤولية الملكة على وضع البيض ،
وبإمكانها وضع نوعين منه ، نوع ملقح يفقس
عن « العائلات » وآخر غير ملقح يفقس عن
« الذكور » ، وذلك حسب حاجة الخلية . ويتراوح
معدل ما تضعه من البيض يوميا ما بين ألف
وخمسمائة بيضة وألفي بيضة .
ويكتمل نمو الملكة بعد ستة عشر يوما من

الكثير من المزارعين في المنطقة
الشرقية من المملكة العربية السعودية
يقتنون النحل لنقل اللقاح من برعم الى آخر مما
يؤدي الى زيادة الانتاج الزراعي وللحصول على
العسل كمورد اضافي لا يكاد يكلف المزارع
كبير عناء .
ولعل الكثيرين من الناس لا يعرفون عن النحلة
الا أنها تصنع العسل وتلقح الأزهار .. وتلسع
الناس . والحقيقة أن أمورا كثيرة أخرى على
درجة كبيرة من الغرابة والتنظيم تجري داخل
قفير النحل حيث يعيش ما يزيد على ستين ألف
نحلة أحيانا تقضي يومها في عمل شبه متواصل .



قفير كونه خلية نحل عل غصن شجرة .



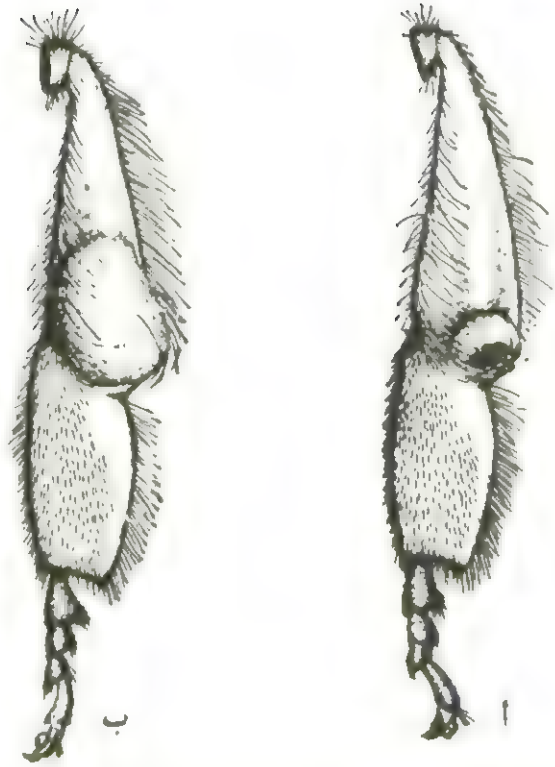
ملكة النحل



ذكر النحل



احدى العاملات



رسم ايضاحي للأرجل الخلفية اليسرى لعاملات النحل حيث تبدو السليلة
فارغة في الشكل «أ» وملانة برحيق الأزهار في الشكل «ب» .



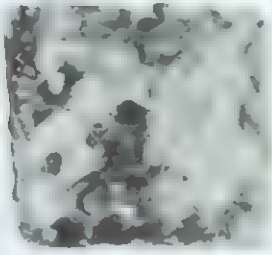
خلية نحل

الملكة أو العاملة فهو أضخم من كل منهما ،
الا أنه أقصر من الملكة وأطول من العاملة وهو على
النقيض منهما غير مزود بآبرة التسع . ويستغرق
نمو الذكر مدة أربعة وعشرين يوما حتى يتكامل .
ويبلغ معدل عمر الذكر شهرين تقريبا . وهو
على ضخامته قلما يقوم بأي عمل نافع . الا
اصدار أزيز يوحى بالشراسة ، وتلقيح الملكة ،
وذلك عمل يقوم به ذكر واحد فقط . وهو يحتاج
الى من يطعمه ، لأنه لا يستطيع جمع اللقاح
أو الرحيق ولو ترك وسط بستان مليء بالأزهار !
ولذا فانه يموت جوعا حالما يطرد خارج القفير .
وهو أبعد ما يكون عن الاهتمام بالأناث من
النحل .

الملكة الفئة الثالثة، من سكان القفير فهي فئة
الأناث . وتعرف بالعاملات . وتختلف
العاملة عن الذكر وعن الملكة بأنها أصغر منهما
حجما . غير أنها تمثل أغلبية سكان القفير ،
اذ أن عدد العاملات يتراوح ما بين عشرة
آلاف وستين ألف عاملة في حين لا يزيد
عدد الذكور على بضعة مئات .

وتأتي العاملة من بيضة ملقحة تضعها الملكة
وتستغرق فترة ثلاثة أسابيع حتى يتكامل نموها .
وقد تعيش العاملة فترة تتراوح بين ثلاثة أشهر
وسنة أشهر ، ولكنها قد لا تعيش في موسم جمع
الرحيق واللقاح أطول من خمسة أسابيع لما تتعرض
له من اجهاد في العمل تبلى على أثره أجنتها .
والعاملات يسيطرون على الخلية ويدبرون أمورها
دون أي اعتراض من الملكة أو الذكور .

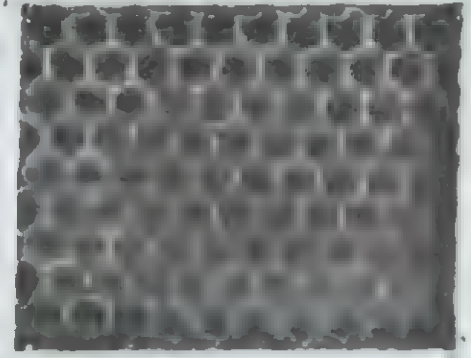
وتقضي العاملة نصف عمرها في العمل داخل
القفير والنصف الآخر خارجه . ويختلف العمل
داخل القفير باختلاف السن ، فغالبا ما تكون
العاملة أضعف من أن تقوم بأي عمل في أول
أطوار حياتها ، لذلك تأخذ لنفسها قسطا من
الراحة قد يبلغ نصف يوم . وبعد ذلك تبدأ
بالتنجول بين عيون أقراص الشمع بحثا عن العسل ،
حتى اذا ما وجدت شيئا منه دخلت العين وتناولت
حاجتها منه . وهي تقضي الأيام الثلاثة الأولى
في تنظيف عيون أقراص الحضانة وصقلها واعدادها
لتضع الملكة فيها بيضها . وتقضي بقية الأيام
التي تمضيها داخل الخلية في اطعام اليرقات من
خبز النحل المصنوع من العسل ولقاح الأزهار ،
وفي تنظيف الخلية والعناية بالملكة واستلام اللقاح
والرحيق وتخزينه وفرز الشمع وصنع أقراصه .



قرص ممتلئ بالعسل



عسل



قرص عسل



رسمه لقرص شهد



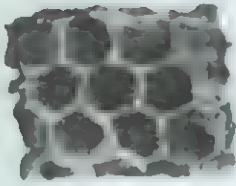
المادة اللزجة



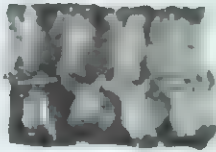
شمع



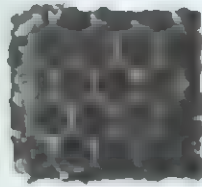
خلية الملكة



خلايا الذكر



خلايا الذكر الداخلية



خلايا العاملة



خلايا العاملة الداخلية



الملكة



ذكر النحل



عاملة ابطالية



عاملة المانية

يرقة

عنواء

تبين هذه الصورة مراحل حياة النحلة وأدوار عملها في انتاج العسل .



جانب من قفائر النحل الحديثة



أحد قفائر النحل التقليدية القديمة .

العاملات في سبيل استبدال الملكة بأخرى . وعندما تنتهي مهمة الذكور تتوقف العاملات عن تغذية اليرقات ويلقن بها خارج الخلية ، فتموت جوعا . وتكون العاملات أكثر حرصا على تنفيذ مثل هذا القرار عندما تقل الأزهار في البساتين أو عندما تكون كمية العسل المخزونة في الخلية محدودة وقليلة .

وهي تطبق ذلك على بنات جنسها أيضا ، في حالة تواني أية عاملة أو وهنها بحيث تصبح غير قادرة على القيام بواجباتها تجاه الخلية ، فيصدر قرار مبرم بإخراجها من القفير . وإن عادت إليه يوكل أمرها إلى نحلة قوية البنية تحملها عدة مئات من الأمطار بعيدا عن الخلية ثم تلقي بها

ثلاثة أسابيع ، واللاتي يكن في أوج النشاط والمقدرة الجسمانية . فهذه الفئة هي التي تقرر عدد العاملات والذكور الذي يجب أن يكون موجودا في الخلية . ولذلك فهي تصنع حجمين من عيون الحضانة ، وعلى الملكة أن تضع بيضا غير ملقح في العين الكبيرة وبيضا ملقحا في العين الصغيرة . وبالإضافة إلى ذلك تقوم العاملات بالدفاع عن الخلية ضد الأعداء وبالهجوم على من يهدد سلامتها أو ينوي بها شرا .

وتقوم العاملات ، بعد أن تضع الملكة بيضاها في العيون المناسبة ، بالعناية باليرقات ، كما يؤمن الغذاء للذكور ما دامت هنالك حاجة إليهم ، كأن تكون الملكة غير ملقحة بعد ، أو أن تكون

المرثا النصف الثاني من عمرها فانها تقضيه خارج الخلية في جمع لقاح الأزهار ورحيقها والماء والمواد الصمغية التي تستعمل في تقوية أقراص الشمع وسد شقوقها .

ويمتاز العمل داخل خلية النحل بروح التعاون المتفاني والنظام الذي لا يعرف المحاباة . فكل عضو من سكان الخلية يعرف واجباته بقدر ما يعرف حقوقه ، وكل منهم يخدم نفسه عن طريق خدمة مجتمع الخلية ، حتى إذا ما تضاربت مصلحة الخلية مع مصلحته الخاصة ضحى بمصلحته دونما تردد . وأكرم عضو عند النحل أنفسهم للخلية . لذا نرى بأن السلطة توكل إلى العاملات اللاتي يبلغن من العمر أسبوعين إلى



طرد من طرود النحل وقد لجأ الى غصن هذه الشجرة لحماية ملكتها .

الى الأرض من عل حيث تلقى مصيرها المحتوم .
وإذا كان هذا القرار يشمل الذكور والعاملات
فانه يشمل الملكة أيضا ، ولكن مع بعض الاختلاف
في سرعة التنفيذ . فمئذ أن تخرج الملكة من
شرنقتها ، والى أن تتلقح وتصبح قادرة على وضع
البيض يكون لازما عليها أن تطعم نفسها بنفسها ،
أما عندما تبدأ بوضع البيض فان العاملات يحطنها
بكل رعاية وعناية ويقدمن لها الطعام . ولكن اذا
لوحظ انها غير قادرة على وضع الكمية الكافية
من البيض أو أن أعراض الشيخوخة والوهن بدأت
تبدو عليها تتخذ العاملات قرارا بالتخلص منها ،
بيد أنها تترك لتعمل ضمن طاقتها وتعطى من
العناية ما تستحق ، وفي الوقت ذاته تعد العدة
لتربية ملكة جديدة من البيض الموجود في أقراص
الحضانة . وعندما تكبر الملكة الجديدة وتبدأ بوضع
البيض ، ينفذ القرار الذي اتخذ بشأن الملكة
القديمة من قبل .

الرسالة من صلح من سكان القفير فله كل
ما يحتاجه من غذاء ، بل ويتمتع
بحياة جماعية هي أشبه ما تكون بحياة الانسان
الاجتماعية وان لم تكن تفضلها من حيث التعاون
والنظام .

ولو بدأنا بصغار النحل لوجدنا أنها كالأطفال
دائمة اللهو واللعب على بعد أمتار من القفير .
ويلاحظ أن صغار النحل تكون أكثر حركة
في هوها ولعبها بعد أن يحبسها المطر أو البرد
أو الحرارة الشديدة عن الخروج لفترة من الوقت .
والنحل يتقن الرقص اتقاناً جيداً ، وهذه
الرقصات ايقاع يعرفه جميع سكان القفير . وهناك
رقصتان يشتهر بهما النحل تكون الأولى على شكل
دائرة ، وتؤديها النحلة بعد رجوعها من الحقل
محملة برحيق الأزهار ، فتضرب ما جمعت منه
ثم تنهادر راقصة بخطوات قصيرة وسريعة ،
فتدور دورة أو دورتين حول إحدى عيون قرص
الشمع ، ثم تدور نصف دورة في اتجاه معين ،
ومثلها في الاتجاه المعاكس ، وهكذا . وتدوم
الرقصة ما بين ربع دقيقة ودقيقة كاملة . وقد
تعيد النحلة الرقصة نفسها ثلاث مرات أو أكثر ،
ولكن في أماكن أخرى من قرص الشمع ، ثم
تغادر الخلية في طلب حمل آخر من الرحيق .
أما الرقصة الثانية فتؤديها النحلة بعد عودتها من
الحقل محملة باللقاح . وفي هذه الرقصة لا تنتظر
النحلة أن تتخلص من حملها ، بل تجري فوق
قرص الشمع لتلفت إليها الأنظار وتجمع حولها
الرفيقات ، ثم تبدأ الرقص بهز الجزء الخلفي من



يولي المزارعون في المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية تربية النحل عناية كبيرة وذلك بغية زيادة انتاج العسل .

مزارع ومرشد زراعي يعملان جنباً الى جنب في العناية بخلايا النحل في المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية ، ويبدوان في الصورة أثناء قيامهما بعملية التدخين لتهدئة النحل ، قبل اخراج أقراص الشهد .





مزارع عربي يتفحص بعض أقراص الشهد الشمية .

تصوير : المتحف الأمريكي لتاريخ الطبيعي وعلي محمد خليفة

عنه تيار هوائي معاكس يحمل الهواء الذي يكون قد تشبع بالبخار الى الخارج . وبذلك تبدأ نسبة الماء في الرحيق بالانخفاض الى أن تصل الى النسبة المطلوبة . والسؤال الذي يتبادر الى الذهن هو كيف يعرف النحل أن نسبة الماء في الرحيق قد وصلت الى النسبة المطلوبة ؟ والاجابة عنه أن ذلك في علم الله جل شأنه .

يبد أن حياة النحل وتصرفاته ليست دائما مضرب المثل الصالح . فالنحل عصبي المزاج سريع الغضب ، ويكون أكثر استعدادا للانشارة منه في أي وقت آخر في الأيام الباردة ، أو بعد هطول الأمطار ، أو في المساء ، أو اذا كان في مكان مكشوف ، أو اذا اعتدي عليه ، أو أخذ عسله . وقد ينزعج النحل ويثور بسبب اهتزاز القفير أو فتحه بخشونة أو ما شابه ذلك . ولا يخلو مجتمع النحل من الرعاع الذين ينساقون الى التصرف دون تروّما يعود بالضرر الى سكان القفير ، بل هنالك في مجتمع النحل من أعمال القرصنة والسلب والنهب بين سكان قفير وآخر ما هو أسوأ من أعمال الرعاع بكثير ■

لا تضيع الوقت في طلب الراحة أو حتى في البحث عن عين فارغة لتضع فيها حملها ، وانما تعطي الحمل الى رفيقاتها العاملات داخل الخلية ليتدبرن أمره ، بينما تعود هي الى عملها .

قدر استطاع النحل ، بما وهبه الله من قدرة ، أن يتعرف على أمور يصعب على الانسان أن يتوصل اليها بدون الآلة ، فاذا أخذنا الرحيق الذي يجمعه النحل من الأزهار نجد بأنه يحتاج الى تصنيع وتجفيف قبل أن يصبح عسلا صالحا للأكل أو الخزن لمدة طويلة . فالرحيق يحتوي على نسبة عالية من الماء قد تصل الى سبعين في المائة ، والمعروف أن العسل اذا احتوى على الماء بنسبة تزيد على ١٧ أو ١٨ في المائة فسد وأصبح حامضا وغير صالح للأكل .

لذلك يتعاون سكان القفير جميعهم على تبخير الماء من الرحيق بأن يقسموا أنفسهم الى قسمين ، قسم يقف على احدى جهتي مدخل الخلية ويبدأ بتحريك أجنحته بسرعة موجدا تيارا هوائيا يدخل الى داخل الخلية ، والقسم الآخر يقف في الجهة الثانية من المدخل ويحرك أجنحته بشكل ينتج

جسمها بسرعة ، ثم تدور نصف دورة لتعود من حيث بدأت ، ولكن ليس على نفس الخط الدائري وانما بخط مستقيم على قطر الدائرة ، ثم تبدأ بتكملة الدورة لتعود من حيث بدأت الرقص . وبعد ذلك تفرغ حملها وتعود الى الحقل من جديد . وليس رقص النحل مضيق للوقت ، فقد لوحظ أن النحلة تهدي رفيقاتها أثناء الرقص الى مصادر غنية بالرحيق أو اللقاح في أماكن لم تكن معروفة من قبل ، كما تدل طبيعة الرقصة وحركاتها واتجاهاتها على مكان وجود الغذاء واتجاهه بالنسبة للخلية وبعده عنها ، لذلك لا تكاد الرقصة تنتهي حتى تسارع بقية العاملات الى ورود ذلك المكان لترجع هي الأخرى بنصيبها من رحيقه أو لقاحه .

أما عندما تأتي نحلة بغذاء معتاد فانها لا ترقص ، بل تأخذ لنفسها بعض الراحة وتنفرد في مكان ما لفترة نصف ساعة تقريبا ، ثم تفرغ حملها في احدى العيون وتعود الى عملها في الحقل ثانية . غير أنه اذا كانت الخلية بحاجة الى الغذاء وكان الغذاء متوفرا في الحقل ، فان النحلة

الصحة النفسية والعقلية

والمخترع يبذل قصارى جهده في تطوير منتجاته ليجد المستهلك في اقتنائها واستعمالها راحة وسعادة ، والتاجر يحاول أن يزود متجره بما يرضي الناس على مختلف مستوياتهم وأذواقهم .

ازداد اهتمام الدوائر الصناعية في كثير من البلدان المتقدمة ، خلال العشرين سنة الماضية ، بالعناية بالصحة النفسية للعاملين فيها وذلك بتطوير ظروف العمل وأساليبه ، وتحسين أحوالهم المادية والاجتماعية ، واصدار النشرات الموجهة التي تدور حول الصحة النفسية وأثرها في الحياة الصناعية وقد أتى هذا الاهتمام نتيجة للخسائر التي تكبدها المؤسسات والأفراد على حد سواء .

فقد جاء في تقرير صدر عن مؤسسة « مننجر فونديشن - Meninger Foundation » الأمريكية بأن الاصابات الصناعية في الولايات المتحدة الأمريكية ينجم عنها نحو خمسة عشر ألف حالة وفاة ، وعشرين مليون إصابة مقعدة سنويا ، مما يؤدي الى أضرار مادية تقدر بثلاثة بلايين دولار سنويا ، وفي نظر خبراء هذه المؤسسة أن حوالي ثمانين الى تسعين في المائة من هذه الاصابات الصناعية كان للعوامل النفسية أثر في حدوثها . وجاء في تقرير آخر أن الخسارة المادية الناجمة عن تغيب الموظفين عن العمل تقدر بعشرة بلايين دولار سنويا وإن خمسين الى ثمانين في المائة من أسباب التغيب ترجع الى عوامل تتعلق بالصحة النفسية والعقلية . كما أشار التقرير الى أن هنالك أكثر من ثلاثين في المائة من أفراد القوة العاملة في الصناعة يعانون اضطرابات انفعالية بصورة دائمة ، بالإضافة الى أن عشرة في المائة يفتقرون الى القدرة على الانتاج في العمل بسبب الأمراض النفسية والعقلية . كما تتراوح نسبة الذين يعفون من العمل لأسباب تتعلق بعدم قدرتهم

العناية بصحة الأفراد النفسية والعقلية وبنائها بناء سليما ، موضع اهتمام القادة والمسؤولين والمشتغلين بعلم النفس ، وحتى الأفراد على مختلف مستوياتهم . فالتعقيدات المنوطة بالمجتمع الحديث ، والكفاح في سبيل العيش والانتاج أصبحت تتطلب ولا شك مزيدا من الرعاية في مجال الخدمات النفسية والعقلية التي تهيم للفرد حياة مستقرة يشعر فيها بالسعادة والرضا والاقبال برغبة على العمل والانتاج . وقد سئل « فرويد - Freud » عن تعريفه لسلامة العقل والنفس فأجاب « انها القدرة على الحب والعمل » . الا أن علماء التحليل النفسي في الفترة التي تلت ذلك ، والتي تسمى بعصر الطب النفسي الحديث ، شددوا كثيرا على عنصر « الحب » في تطور شخصية الفرد ، ولم يغيروا عنصر « العمل » اهتماما يذكر .

أما في العشرين سنة الماضية فقد ظهر علم جديد في حقل الصحة النفسية أطلق عليه اسم « الطب العقلي الاجتماعي » ، نتيجة لانتقال التركيز على العناية بصحة الفرد النفسية وحدها الى الاهتمام بالصحة النفسية للمجموعة . وهذا العلم يعني بصحة المجتمع العقلية والنفسية ويجب أفراد كل ما يترتب على اضطراب نفسياتهم من تضاؤل في الاقبال على الانتاج . ثم توسع مجال الصحة النفسية والعقلية توسعا ملحوظا فشمّل معظم مجالات الحياة الاجتماعية الحديثة ، واستأثر باهتمام رجال السياسة والقضاء ورجال التربية والصناعة . ولم تقتصر العناية بصحة الأفراد النفسية والعقلية على المؤسسات والأطباء النفسيين المختصين فحسب وإنما أصبح كل فرد ضمن نطاق عمله يسعى للاهتمام بصحته وصحة الآخرين النفسية . فالمهندس يشارك بما في وسعه في توفير الظروف السكنية الملائمة للآخرين ،

في المجال الصناعي

بقلم الدكتور اندراوس نقولا

على التكيف الاجتماعي بين ستين وثمانين في المائة . أما نسبة الأشخاص الذين تنهى خدماتهم لأسباب تتعلق بعدم الكفاية الفنية فتتراوح بين عشرين وأربعين في المائة .

ملحوظة مثل هذه الخسائر الناجمة عن بعض أصحاب المؤسسات الصناعية الى استبدال الموظفين بصورة متكررة وبذل الكثير في تدريبهم وتأهيلهم لتحقيق كفاية انتاجية ملائمة مما يعرض مؤسساتهم الى تكبد تكاليف باهظة . ولعل ما يزيد من خسائر المؤسسات الصناعية العجز في رسم سياسة سديدة ووضع أنظمة يمكن تطبيقها ، وخاصة اذا كان الأفراد المكلفون بذلك هم أنفسهم يعانون من اضطرابات نفسية وعقلية .

ولعل رئيس العمل الذي لا يعبر مشاكل موظفيه وظروفهم الشخصية اهتماما يذكر ، يكون سببا لحدوث اضطرابات انفعالية لدى موظفيه ، مما يحدث فجوة عاطفية بينه وبين مروضيه يؤدي الى فتور عزيمتهم وتردي انتاجهم .

والاضطرابات الانفعالية بصورة عامة تجعل من أصحابها أفرادا سلبين سريعى الاثارة والانفعال كثيرى الشكوى ، وهي تنعكس في العمل على شكل صعوبات ومشاكل مستمرة تؤدي الى ضعف الانتاج لما تخلقه من توتر بين الموظفين وزملائهم وروؤسائهم ومروضيهم .

والموظفون الذين يفتقرون الى الصحة النفسية يصاحبهم نوع من القلق والتذمر من أي عمل يناط بهم ، مما يضطرهم الى الانتقال بصفة مستمرة من وظيفة الى أخرى ، الأمر الذي يعيق في تحقيق أهداف كانوا يعتقدون أن بإمكانهم تحقيقها . وأخيرا قد تجد حالة التوتر والاضطراب النفسي التي يعانون منها متنفسا لها في شكل أعراض مرضية جسمية تحد من قدرتهم على الانتاج .

ولا شك أن المجتمع يجني من وراء ذلك أضرارا معنوية ، حيث يضم أفرادا ذوي نفوس مضطربة ، لا يقومون على القيام بأدوارهم الاجتماعية بشكل ايجابي فعال .

ملحوظة وبعد أن استعرضنا الأضرار التي تلحق بالموظفين والمؤسسات والمجتمع نتيجة الاضطرابات الصحية النفسية والعقلية ، لا بد لنا من أن نعرف ما هو المقصود بالمرض العقلي والنفسي ، وما هو مفهوم الصحة النفسية والعقلية .

ان المرض العقلي والنفسي ، في نطاق العمل ، هو مجموعة اضطرابات انفعالية واسعة المدى تحول دون تمكن الفرد من استغلال أقصى طاقاته الانتاجية .

ومفهوم الصحة النفسية والعقلية واسع يعتمد تعريفه على وجهات نظر الأفراد الذين يتناولونه بالبحث والتعريف . فقد يصفه رجال الأعمال والصناعة بشكل يختلف الى حد ما عما يصفه به الأطباء والعلماء النفسيون . فرجال الأعمال يرون الصحة العقلية والنفسية ، بأنها القدرة على العمل والانتاج بشكل يصل به الفرد الى أقصى مستواه الانتاجي دون أن يبدو عليه أي أثر للتوتر ، وعلى المواظبة على العمل بطريقة ملائمة ، وانجازه له بصورة جيدة ، ثم القدرة على التنافس مع الزملاء بصورة ايجابية ، وشعور بالرضى ، وكذلك القدرة على اقامة علاقات طيبة مع الزملاء والروؤساء والمروضين .

أما الأطباء والعلماء النفسيون فينظرون الى الصحة العقلية والنفسية نظرة تشمل حياة الفرد بأكملها . وقد أجرت مؤسسة « منتر فونديشن » بحثا استفتت فيه مجموعة من مشاهير أطباء وعلماء النفس عن مفهوم الصحة النفسية والعقلية

معتمدين في ذلك على معرفتهم الشخصية لعدد كبير من الأشخاص الذين يعتقد هؤلاء الأطباء والعلماء بأنهم يتمتعون بالصحة النفسية والعقلية ، فأجمع الرأي على أن الأفراد الأصحاء يتحلون بالصفات التالية :

- لدى الأفراد الأصحاء نفسيا منابع متعددة لادخال البهجة والسرور الى نفوسهم ، فهم يجنون المتعة بطرق شتى ومن أشياء متنوعة ، فاذا ما فقدوا مصدرا منها استطاعوا الاستمتاع في مجالات أخرى كثيرة . وبعبارة أخرى ان الفرق بين الأفراد الذين تختلف لديهم مصادر البهجة والذين لا يمتلكون الا عددا محدودا منها ، هو الفرق بين انسان يعيش حياته بكل حيويتها ويستمتع بها ، وآخر يعيش لأن الحياة فرضت عليه .
- يتمتع الأصحاء نفسيا وعقليا بمرونة يستطيعون معها معالجة مشاكل الحياة معالجة سليمة ، أو افصاح المجال لها لتمر بسلام ، متخذين من خبراتهم الشخصية مرشدا لمعالجتها من وجوه متعددة .
- يعرف الأصحاء نفسيا وعقليا حدود إمكاناتهم فلا يبالغون في الاشادة بمزاياهم ولا ينقصون من قدر مواهبهم ومهاراتهم ، ولا يحاولون اخفاء نقاط ضعفهم وراء ستار واه من الغرور .
- يتعامل الأصحاء عقليا ونفسيا مع الآخرين كأفراد لكل منهم طبيعته ومشاعره وآراؤه واتجاهاته الخاصة ، ولا سيما اذا كان الآخرون أشخاصا دون مستواهم الثقافي والاجتماعي .
- يتميز الأصحاء نفسيا وعقليا بالنشاط والانتاج ، فهم يستغلون طاقاتهم الحيوية ومهاراتهم أحسن استغلال .

وصفة القول ان المرء السليم عقليا ونفسيا هو الشخص الذي يتمتع بصحة نفسية في حياته العامة وبالقدرة على مواجهة مشاكلها برحابة صدر ، والاقبال على حلها بدلا من الرزوح تحت وطأتها ■

جبل طارق والعرب..

بقلم الأستاذ عبد العزيز الرفاعي



صورة جوية لجبل طارق تشتمل على الشعب .

« .. وَجَبَل طَارِقَ هَذَا كَرِيمَ التَّرْبَةِ ، عَظِيمِ الْمَنَةِ ، بِأَسْقٍ
مَعَ أَعْنَانِ السَّمَاءِ ، يَكَادِي فِي الْمَامَتِ يَصِلُ إِلَى الْجُوزَاءِ ، كَلَّمَا
اسْتَوْدَعَ فِي أَرْضِهِ نَمَا وَزَكَا وَفَضْلُ ، وَجَلَّ وَأَشْمَرُ ... »

ابن صَاحِبِ الصَّلَاةِ

الى الدهن ، اذ كانت التجربة الأولى لهم في جزيرة طريف ، وهذا الاسم هو أيضا معزو الى صاحب المحاولة الأولى نفسه « طريف ابن مالك » ، وهو أيضا من رجال البربر ، قام بمحاولته سنة ٩١ هـ (٧١٠م) على رأس حملة اسلامية صغيرة جهزه بها موسى بن نصير ، بيد أنها كانت مجرد محاولة ، وقد احتفظت الجزيرة الأندلسية باسم صاحب المحاولة .

أما المحاولة الثانية فقد كانت فتحا حقيقيا للبلاد الأندلسية ، فلا غرو ان ذهب طارق بشهرتها ، فقد كان من ذوي العزم والتصميم ، خاصة ان صدقت قصة احراقه سفن العودة ، ولا أرى مبررا للتشكيك فيها ، وكان فتحه لها في أواخر ربيع الآخر سنة ٩٢ هـ (٧١١م) (٢) .

لخريطة منطقة جبل طارق ، يلتمس أن اختيار العرب جزيرة طريف أولا ، ثم جبل طارق ثانيا ، لبده محاولاتهم في فتح الأندلس كان اختيارا طبيعيا لاقترب هذين الموضعين من الشاطئ الأفريقي ، حتى لكان هذين اللسانين يحاولان الاتصال بالبر الأفريقي .. ولا يستبعد احتمال كونهما كانا متصلين به في غابر الأزمان .

وقد كان هذان الموضعان دائما جسرا للفتاحين عبر الأزمنة . وروى شمس الدين أبو عبد الله محمد أبي طالب الانصاري الدمشقي المعروف « شيخ الروبة » في كتابه « تحفة الدهر في عجائب البر والبحر » : ان المؤرخين زعموا أن الاسكندر حفر الزقاق وأجره من المحيط ليغرق به أهل البلاد والأقاليم . وزعم آخرون انه حفره ليكون فارزا بين أهل الأندلس والبربر ، وأهل بر العودة

اما تسميته بمعبرة هرقل ، أو هر كول (Hercule) فيقول صاحب منجد الآداب والعلوم ، ان الأقدمين دعوا باسمه عواميد هر كول ، وهو مضيق جبل طارق ، لاعتبارهم أن المرور منه الى الأطلس لا يقوى عليه الا الجبابرة .. أي أن أعمدة هرقل ، التي كانت قائمة في طرفي المضيق على شاطئ جبل طارق من الجهة الشمالية ، وعلى شاطئ « سبتة » أو « أبيلا » من الجهة الجنوبية الأفريقية كانت تعزى لعظمتها وجبروتها الى هرقل ، أحد أبطال « الميثولوجيا » الأغريقية .

على ان هذا لا يعدو عن كونه مجرد استنتاج .. وكما يطلق اسم جبل طارق على المدينة وعلى المضيق ، فانه يطلق أيضا على الميناء القائم غربي الصخرة ، وعلى الخليج الذي يقوم عليه الميناء . وقد ذكر بعض المفسرين في تفسير قوله تعالى في سورة الكهف « وَاذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ » انه مضيق طنجة ، أي مضيق جبل طارق .. الا أنه ليس أرجح الأقوال ، اذ المشهور أن المقصود هو ملتقى خليج السويس بخليج العقبة ، وليس بحر الروم بالبحر المحيط .. وان كان مضيق جبل طارق يعتبر بحق مجمع بحرين ، وقد عناه الشاعر أبو عمرو بن حربون ، حينما قال :

أنظر الى مجمع البحرين كيف حوى
من الفضائل ما لم يحوه بلد !
لاقي الكليم على الشاطئ به خضرا
وفيه لاقى أخاه السيد السيد
على ان جبل طارق ليس أول أرض أندلسية وطأتها أقدام الفتاحين العرب ، كما قد يتبادر

عند الفتح الاسلامي للأندلس ، اقترن اسم هذا الجبل باسم فاتحه القائد المسلم طارق بن زياد ، مولى موسى بن نصير أحد قادة الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان . وقد ظل الجبل محتفظا بهذا الاسم الى الوقت الحاضر ، فهو (Gibraltar) وعند الاسبان (Gibraltar) بزيادة r بعد b (١) .

أما في الأزمنة القديمة فقد تداولته عدة أسماء (١) ، بيد أنه كان قبيل الفتح الاسلامي يعرف بجبل كالبى (Mons Calpe) ويقول الأستاذ محمد عبد الله عنان في كتابه « الآثار الأندلسية الباقية » ان الجبل أو الصخرة تربض في البحر على شكل أسد عظيم ، رأسه نحو البحر .. وهذا وصف شاهد عيان .

ولقد حاول الخليفة الموحيدي ، عبد المؤمن ابن علي أن يطلق اسما جديدا على الجبل ، أو المدينة التي ابتناها به ، فأمر بتسميته « بجبل الفتح » أو « مدينة الفتح » (سنة ٥٥٥ هـ الى ١١٦٠م) ، الا أن اسم جبل طارق ظل غالبا ، وان اقترن اسم « جبل الفتح » في المؤلفات العربية التالية للعهد الموحيدي بشيء من الذبوع .

وقد شمل اسم جبل طارق ، المضيق الذي تقع الصخرة على شواطئه الشمالية ، فأطلق عليه أيضا اسم مضيق جبل طارق . وقد كان العرب يسمونه « الزقاق » أو « المجاز » أو « معبرة هرقل » أو « معبرة الأسد » ، ولعل لما ذكره الأستاذ عنان عن شكل الصخرة علاقة بهذه التسمية الأخيرة . وشكل الأسد لا يبعد كثيرا عن شكل الكلب ، فهل هناك علاقة لغوية بين كلب وكالبى (Calpe) ؟



منظر آخر لقمة جبل طارق وقد ظهر الى يسارها أحد مستجمعات المياه .

أربعة وعشرين ميلا . وبالإمكان رؤية الصخرة من شاطئ سبتة الأفريقي . وإن كانت تبدو منه كالغمام القائم (٤) .

وإذا كان شيخ الرتبة قد روى أن الاسكندر حفر الزقاق ، أو عمر عليه جسورا ، مما سلفت الإشارة إليه ، فإن لصاحب معجم البلدان رواية أخرى ، فهو يحدثنا في مادة (بحار - بحر المغرب) في الجزء الأول من كتابه بما يأتي :

« .. وقرأت في غير كتاب من أخبار مصر والمغرب ، أنه ملك ، بعد هلاك الفراعنة ، ملوك من بني دلوكة ، منهم دركون بن قلوطي وزمطرة ، وكانا من ذوي الرأي والكيد والقوة ، فأراد الروم مغالبتهما على أرضهما ، وانتزاع الملك منهما ، فاحتالا بأن فتقا البحر المحيط من المغرب ، وهو بحر الظلمات ، فغلب على كثير من البلدان العامرة ، وامتد إلى الشام وبلاد الروم ، وصار حاجزا بين

وسواء أكان المضيق متصلا ، وأن الأيدي البشرية هي التي حفرته ليتصل البحرين فيكون في ذلك نفق كبير للملاحة البحرية ، كما هو عليه الحال في قناة السويس ، أو أن البحرين كانا منفصلين ، وإن الجهود البشرية كانت تحاول وصلهما بعمل قناطر وجسور لتحقيق الهدفين معا : اتصال البحرين واتصال البرين معا ، مثل المحاولات التي تبذل الآن لوصل ساحلي بحر المانش بين فرنسا وبريطانيا . سواء أكان هذا أو ذاك ، فإننا نكتفي بهذه الدلالة على أهمية المنطقة وحيويتها في وصل قارتي أوروبا وأفريقيا ، وفي وصل البحر الأبيض المتوسط (بحر الروم) بالمحيط الأطلسي (بحر الظلمات) .

ولا شك أن مضيق جبل طارق يعتبر أضيق نقطة تلاقى بين أوروبا وأفريقيا ، ولا يزيد عرضه عند أضيق نقطة عن تسعة أميال بينما يبلغ عرضه في أكثر نقطة اتساعا

والاسبان ، ليمنعهم من غارات بعضهم على بعض . وزعم آخرون أنه لم يحفره ولكنه أراد أن يعمر عليه جسرا من قناطر ففعل ذلك ، ثم إن البحر طما وزاد ، وغطاها .. وأنه إلى الآن ينظر الراكب فيه إلى القناطر تحت الأرض عند سكون الريح ، وهدوء الموج ، ونقص مده وجزره . ثم وصف المؤلف عرض الزقاق : فقال أنه ثمانية عشر ميلا (الآن) وإن الجسر الذي بناه الاسكندر في أضيق مكان أمكنه البناء هو أربعة آلاف خطوة وذلك طول ميل واحد . (٣) ثم وصف القناطر والجسور ، وإن الاسكندر استعان في بنائها بفكرة المراكب المتصلة المقيدة بسلاسل .. كل ذلك في وصف شائق .

والسؤال الذي يتبادر الآن إلى الذهن والذي يظل الجواب عليه غامضا هو : هل ثمة صلة بين أعمدة هرقل ، وبين الجسور والقناطر التي يحدثنا عنها « شيخ الرتبة » ؟

(٣) كان رصيف الاسكندر يمتد من طنجة إلى ساحل الأندلس ، وقد تهدم قبل الفتح الإسلامي بمائتي سنة (التأري في التعليق على المن بالامامة) .

(٤) الآثار الأندلسية الباقية لمحمد عبد الله عنان .

بلاد الروم ، وبلاد مصر » .

وتجرتنا هذه الأساطير والحكايات التي تروى عن مضيق جبل طارق ، الى أسطورة الطلسم الذي وجد عند فتح الأندلس . كما تذكرنا أيضا بما جاء في كتاب « ألف ليلة وليلة » عن جبل المغناطيس ، وبالكنوز التي وجدها طارق أو موسى بن نصير في الأندلس . وعما يروى أيضا عن قارة الاطلانطيد ، وما يحوم حولها من قصص .. ولشد ما تختلط بعض الحقائق أحيانا بالأساطير اختلاطا يقف منه العقل البشري موقف المتحير !

.. .

بـالف جبل طارق من كلس جوراسي ويبلغ طوله ٤,٥ كيلومتر ، وعرضه ١,٢ كيلومتر ، وارتفاعه ٤٢٩ مترا . كما يبلغ تعداد سكانه حوالي ثلاثين ألفا ، وهم خليط من الاسبان والانجليز ، وبعض العرب المراكشيين . ويدخل ضمن هذا العدد ، الحامية الانجليزية التي تبلغ حوالي السبعة آلاف ، وقد استولت بريطانيا على الجبل في سنة ١٧٠٤م .

ويربط شبه جزيرة طارق بسائر ايبيريا أو باسبانيا منطقة محاذية تتألف من سهل رملي ، وتمتد بجوار الصخرة نحو سبعمائة متر ، ويبلغ عرضها نحو أربعمائة متر (٥) ، وتشكل هذه المنطقة المعبر الذي يصل عن طريقه تموين الجبل ، باحتياجاته كما يصل عن طريقه بعض العاملين في الميناء الذين يعودون في المساء الى الأرض الاسبانية .

ولقد ظلت سيطرة المسلمين على الجبل ممتدة لما يزيد على السبعمائة عام ، فقد خسروه بصفة نهائية سنة ١٤٩٢م ، حيث استولى عليه الاسبان ، بعد عدة محاولات وحملات .

سبق ان أشرت الى أن الخليفة الموحيدي عبد المؤمن بن علي أطلق اسما جديدا على الجبل هو « جبل الفتح » وان هذا الاسم حظي ببعض الذبوع في العهد الموحيدي وبعده .

لقد قام هذا الخليفة بدور عمرانني هام ، بالنسبة لتاريخ جبل طارق في عهده الاسلامي ، ولعل خير من أرخ لهذه الفترة من تاريخ الجبل « عبد الملك بن صاحب الصلاة » (٥٩٤م) في كتابه « تاريخ المن بالامامة » ، الذي حققه أخيرا الأستاذ « عبد الهادي النازي » وزوده بكثير من الهوامش القيمة المفيدة .

ولقد أتيح لمؤلف هذا الكتاب ، أن يعاصر

عمران الجبل في عهد الموحيدين ، ووصف ذلك العمران وصفا دقيقا مسهبا ، تضافت فيه الرواية والملاحظة معا . ويذكر في ذلك أن الخليفة الموحيدي عبد المؤمن بن علي ، أمر بإنشاء مدينة كبرى في جبل طارق ، لتكون قاعدة له ولجندته للعبور الى الأندلس ، وكلف ابنه أبا سعيد عثمان بالمسير من غرناطة الى جبل طارق ، واستنفر لأجل ذلك أشهر البنائين والمهندسين ، وفي مقدمتهم الحاج « يعيش الملقبي » ، وهو مهندس شهير فنان اشتهر بأبداعه ، والعريف « أحمد بن باسة » ، وهو يعتبر أحد كبار الخبراء في الأعمال المعمارية ، وكان الموحدون يعتمدون عليه في مشاريعهم .

يقول ابن صاحب الصلاة : « واحكم بناوون فيه بناء القصور المشيدة والديار ، واخترعوا في أسسها طيقانا وحنايا لتعتدل بها الأرض مبنية بالحجر المنجور مما هو عجيب في الآثار ! ثم ذكر الطاحونة الهوائية التي عملها الحاج « يعيش » ، فقال :

« .. وكان الحاج « يعيش » المهندس ، مدة اقامته للبناء على ما ذكرته فيه ، قد صنع في أعلاه رحي تطحن الأقوات بالريح ، عاينها الثقات مدة البناء المذكور ، فلما رجع الى مراكش عند اكمال ما أمر به فسدت الرحي لعدم الاهتبال بها .. »

وبعد أن نجز العمران الضخم الذي أمر به الخليفة الموحيدي عبد المؤمن ابن علي ، عبر البحر من سبته ليشهد ذلك العمران ويحفل به ، وكان ذلك في شهر ذي القعدة عام ٥٥٥هـ .

وقد كان احتفاله بانجاز هذا العمل العظيم احتفالا مشهودا تبارى فيه الشعراء والخطباء .. وكان من شعراء ذلك اليوم أبو بكر بن المنخل الشلبي ، وأبو العباس أحمد بن سعيد الأشبيلي المسمى « باللس » ، والشاعر المعروف « بالطلق » ، وأبو الحسين عبيد الله بن محمد بن صاحب الصلاة الباجي ، ومحمد بن حبوس القاسي ، وأبو عبد الله الرصافي ، وأبو جعفر بن سعيد العنسي ، وأبو العباس الجراوي (٦) .

وقد ذهب الأستاذ عبد الله عنان في كتابه القيم « الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال » في هامش الصفحة ٦٨٦ الى أن ابن صاحب الصلاة ، مؤلف كتاب « المن بالامامة » كان من شهود هذا الحفل ، وهو وهم ، فليس في

كتاب « المن بالامامة » ما يدل على اشتراكه في هذا الحفل .. فقد قال بعد أن أتى على ذكر بعض قصائد الشعراء الذين ألقوا قصائدهم فيه ، ما نصه :

« حدثني الأستاذ أبو القاسم بن أبي هارون قال : كنت واحدا من جميع الوفد الذين بادروا بقصدهم ووفدهم مع أهل اشبيلية ومن كان تحت طاعة التوحيد من أهل الأندلس الى أمير المؤمنين رضي الله عنه بجبل طارق ، وأقمنا معه نحو عشرين يوما ... الخ » .

ولم يكن ابن صاحب الصلاة في حاجة الى مثل هذه الرواية لو حضر الحفل .. ولعل الوهم أتى الى أنه حضر فعلا حفلا آخر أقيم في الجبل نفسه ولكن في غير عهد الخليفة عبد المؤمن . ولعل هذا الوهم قد أتى أيضا الى أنه كان من بين شعراء حفل الخليفة عبد المؤمن شاعر من بيت صاحب الصلاة هو أبو الحسين عبيد الله بن محمد بن صاحب الصلاة الباجي ، وهو غير صاحبنا .

ويدل السياق الذي يصف فيه صاحب « المن بالامامة » حفل الخليفة عبد المؤمن ، على اعتماده على الرواية ، فهو يقول بعد إيراد قصيدة الشاعر المعروف « باللس » التي مطلعها :

غمض عن الشمس واستقصر مدى زحل وانظر الى الجبل الراسي على جبل

يستمر في سرد الوصف فيقول : « قال الراوية : لما أنشد المنشد هذه القصيدة أنكر أمير المؤمنين هذا البدء في قول الشاعر « غمض عن الشمس » وقال على مسمع من الناس « غمض .. غمض .. منكرا لها ، لأنه كان يحب الفأل الحسن ، لكنه أمر له بعشرة دنانير كما أمر لكل شاعر » .

هذا عدا عن أن ابن صاحب الصلاة يلتزم الدقة في وصفه ، فهو حينما نزل بجبل طارق على عهد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن قال :

« كنت من جملة الواردين » . الآخر صلة لما آل اليه الأمر بعد وفاة الخليفة عبد المؤمن ، وبعد أن تولى الخلافة ابنه أبو يعقوب يوسف ، وظلت الوزارة والسلطة في يد أخيه أبي حفص . فقد خرج ابن صاحب الصلاة الى الأندلس مرافقا لمركب أبي حفص حينما عبر للقاء أخيه أبي سعيد في جبل طارق ، يقصد إزالة الخلاف الناشب حول الخلافة بعد الخليفة عبد المؤمن .

وقد قصد أبو حفص أن يجمع الكلمة لأخيه أبي يعقوب يوسف ، وقد احتفى أبو حفص بعودة أخيه أبي سعيد إلى حظيرة الولاء ، فوزع الأعطيات ، وتقبل التهاني ، وتناقش الشعراء في التهئة بهذه المناسبة ، ومن بينهم أبو عمرو ابن حربوك ، الذي أشد قصيدة دالية مطلعها :

قد حصص الحق لا ريب ولا فند

هذي الفتوح كانوا بها وعملوا
وهي التي يقول فيها :

أنظر إلى مجمع البحرين كيف حوى

من الفضائل ما لم يحوه بلد
وفي هذه الرحلة شارك مؤلف كتاب « المن بالامامة » في سوق الشعراء ، فألقى أبياتا ، ولكنه لم يذكر منها شيئا ، كما أنه لم يذكر شيئا

عن مشاهداته في الجبل ، مكتفيا بما سبق أن أورد من وصف في مناسبة احتفال الخليفة عبد المؤمن عند بناء المدينة العظيمة في الجبل .

و**نجدنا** الأستاذ « محمد عبد الله عنان » في كتابه القيم « الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال » أن هنالك بقايا الحصن الأندلسي أو القصر الأندلسي أو المغربي (Moorish Castle) ، وأنه عبارة عن قلعة حصينة ، تقوم فوق ربوة عالية ، تقع على مقربة من الطرف الشمالي الغربي للصخرة ، ومن تحتها سراديب وعقود عريية ، وأنه يدل تخطيط القلعة وحافاتها على أنها قد ترجع إلى عهد الموحدين ، مشيرا إلى ما بناه الخليفة عبد المؤمن ، كما مر ذكره . ولكنه

يعود فيقول أن بعض الأثريين يرى أن بناء هذه القلعة يشبه طراز التحصينات الغرناطية ، وإنها قد أنشئت فيما يبدو في عصر السلطان يوسف أبي الحجاج في النصف الأول من القرن الرابع عشر ، بل أنه يعزو هذا الرأي إلى الأستاذ « تورييس بالياس » في مقال له عن جبل طارق في مجلة الأندلس . ويضيف الأستاذ عنان قائلا ، أن المرجح أن هذا البناء قد أقيم على أنقاض القسبة الأندلسية القديمة ، التي أقيمت منذ الفتح . كما يذكر بعض الآثار الأندلسية ولكنه لا يحزم بأشياء يقينية معزوة إلى مؤسسها ، إذ يبدو أنه لم تعد هناك نقوش أو خطوط توضح ذلك بصفة جازمة ■

منظر لصخرة جبل طارق وهي تطل على اسبانيا من الشمال .

تصوير : « وايد وورلد فوتوز »



قصة قلب

للشاعر أحمد قنديل

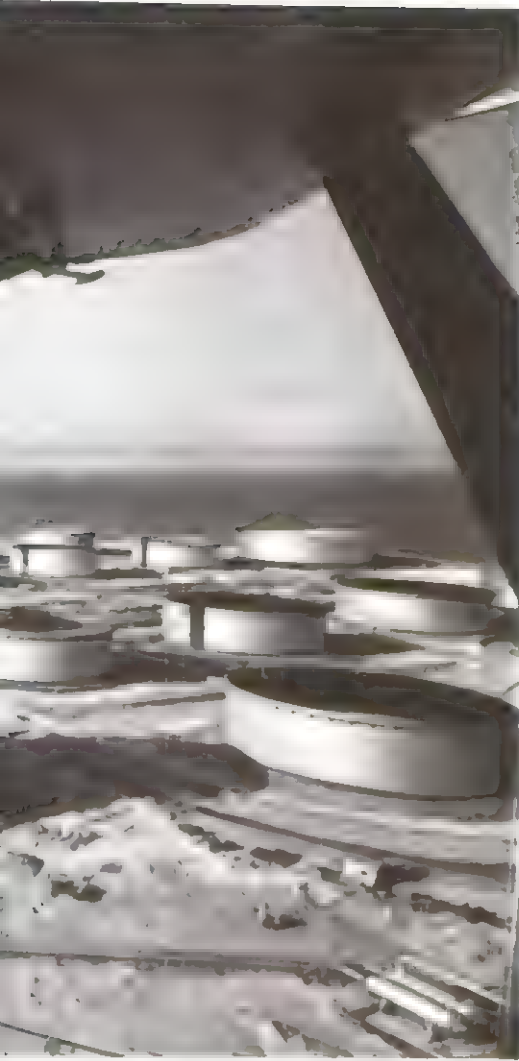
أنوار ، يا أخت النّسائم رقصة وهوى رقيقا
يا وردة الأغصان رفّا بهما النّدى تاجا أنيقا
عيشي ربيع العمر زهرة روضه الحالّي طليقا
واسترجعي البساتين في الشّفة التي حاكت عقيقا
ودعني الكلام المرّ كالطلقات المبيت الحريقا ..
للنّاس ، دأب النّاس ما تركوا وضيعا أو عريقا
حلّ الضّفادع في الشّقوق تمت بحسرتها نقيقا !

أنوار ، يا بنت الحياة ذكّت جوى فزكت عيقا
يا آهة في الصدر أرسلت المنى حزننا عميقا
لا تحملي هم الغروب قرارة وصدى سحيقا
ما دمت في فجر الصّبا نورا يضيء لك الطريقا

أنوار ، يا لحن المنى نسي المنى نغما ولحنا
غنّ الحياة قصيدة نطق الهوى فيها وغنى
لا تربطني بالخيط ماضيك البعيد به استكنا
أو تحلمي بالذكريات شجتك أنات وحزنا !

أنوار ، صوني العين دمعاً في مابلها صيبا
كم عثت في الليل الطويل شكاية طالت نجبا :
يا ليل .. ماذا ضرة لو عاش في جنبي قريبا
لو دام بالعيش المهمل أمنيات لن تخيبا
لكنه قد غاب عنا حين ردد : لن أغيبا
وأطال غيبته المريبية ، خلفت شجاً مربيا
كاشارة حمراء أقفلت المرور لنا دروبا
اني وقفت على الطريق ، ترقبا . ومدى ريبا
ورجعت عنه غريبة منذ عاد في قلبي غريبا !

أنوار ، هذي قصة القلب الذي هزم القلوبا
بالصّبر ، بالإيمان ، آلى أن يعيش وأن يؤوبا
مطرتها للفنّ فننا في روايته دؤوبا



تنتهي مهمة مرسل الزيت لدى وصول الزيت



قبل شحن الزيت الخام والمستعمل

التخطيط في عمليات إنتاج الزيت

ملايين الدولارات من الزيت الخام والمنتجات البترولية التي تسيطر عليها منظمة
المنطقة الشرقية في المملكة العربية السعودية، إلى مختلف شركات البترول والخطوط
والمطارات، هذا هو الدور الذي تلعبه شركة البترول الوطنية (س.ب.و.) في
تأمين احتياجات شركات البترول المختلفة من شركات البترول (أ.ب.ب.) وشركة البترول
وشرقة (س.ب.و.) وشركة البترول (س.ب.و.) وشركة البترول (س.ب.و.)
أو بترول (س.ب.و.) وشركة البترول (س.ب.و.) وشركة البترول (س.ب.و.)
من الزيت الخام ومشتقات البترول، التي تسيطر عليها شركة البترول (س.ب.و.)
عبر طريق (س.ب.و.) وشركة البترول (س.ب.و.) وشركة البترول (س.ب.و.)
لإنتاج البترول من قبل شركات البترول (س.ب.و.) وشركة البترول (س.ب.و.)
مستقبلاً على الصعيد العالمي في الطلب على الزيت .

وفاء مكتب نيويورك

تقوم الشركات الأم الأربعة على فترات دورية بتقديم تقديرات انفرادية عن كميات الزيت الخام والمنتجات التي تتوقع بيعها خلال فترة ثلاث سنوات . وهي تبني هذه التقديرات على ضوء دراسة الحالة الاقتصادية في الأسواق العالمية ، مع الأخذ بعين الاعتبار امكانات انتاج ارامكو الحالي والمتوقع ، ومقدار نصيبها من هذا الانتاج . ويتولى مكتب ارامكو في نيويورك دراسة تقديرات كل شركة من الشركات الأم دراسة دقيقة ووافية ، ثم يحملها في تقرير واحد على شكل ارقام تقديرية اجمالية لمعدل الانتاج اليومي خلال السنوات الثلاث المقبلة ، ويبحث به لاسلكيا الى الظهران ، المقر الرئيسي لشركة الزيت العربية الأمريكية (أرامكو) ، حيث يصل الى قسم «دراسة مشاريع استغلال الزيت» . هذا على المدى البعيد . أما على المدى القريب فيتلقى مكتب نيويورك من الشركات الأم تقديرا أكثر دقة عن كميات الزيت الخام المطلوبة لمدة سنة من تاريخه ، فيوحدها في رقم واحد ويبحث بها لاسلكيا الى الظهران حيث تصل الى ادارة «تخطيط وتنظيم توريد الزيت» .

وبالاضافة الى ذلك يتسلم مكتب نيويورك من الشركات الأم قبل ٢٠ يوما من بداية كل شهر برنامجا شهريا مفصلا عن حركة الناقلات التي ستؤم قرضة رأس تنورة البحرية ، وينقله بدوره الى المسؤولين في رأس تنورة .

ويستخدم مكتب ارامكو في نيويورك آلة حاسبة الكترونية لتخزين كل هذه المعلومات التي تتضمن ما يتوقع عمله في مجال الانتاج أو الشحن خلال الشهر والشهر الذي يليه . وتقوم هذه الآلة بنقل المعلومات الى آلتين اخريين مماثلتين ، احدهما في رأس تنورة والاخرى في الظهران حيث يجري تحليلها ، وبالتالي ارسالها الى المسؤولين لدى قسم «التخطيط وتحويل الزيت» في كل من معمل التكرير والقرضة البحرية في رأس تنورة . وجدير بالذكر أن ادارة تصنيع الزيت في نيويورك تتولى مهمة الاتصال بين ارامكو وشركات الام ومشتري الزيت .

دراسة تطور الزيت المستقبلي

تتضمن المعلومات التي يتلقاها قسم «دراسة مشاريع استغلال الزيت» من مكتب الشركة في



خام الى ساحات الخزانات لتبدأ عندئذ مهمة مخططي القرضة البحرية ومخططي معمل التكرير .



توصل عينات منها الى مختبر الزيت للتأكد من أنها مطابقة للمواصفات المطلوبة .



تستمر أعمال التنقيب عن الزيت في أماكن مختلفة من منطقة الامتياز بحثا عن حقول جديدة للزيت .

نوع زيت كل حقل وما تتطلبه مراحل التطوير من زيادة في عدد الآبار المنتجة ، وخطوط التجميع ، ومعامل فرز الغاز من الزيت ، وخطوط الأنابيب ، ومحطات الضخ ، ومرافق التركيز والخزن والشحن . وفي حال اتخاذ قرار بتطوير أحد الحقول القديمة المنتجة ، يقوم رجال التخطيط علاوة على ما سبق ، بدراسة حالة الحقل ومدى حاجته الى استخدام الوسائل الضرورية للمحافظة على مستوى الضغط الكامن فيه .

وبعد تحديد ما تحتاج اليه كل مرحلة من مراحل التطوير من المرافق والمعدات ، يقوم رجال التخطيط بدراسة التكاليف التي تتطلبها عمليات الانشاء ، والتكاليف التي تتطلبها عمليات التشغيل للاختيار بين تكلفة انشاء عليا وتكلفة تشغيل دنيا ، وبين تكلفة انشاء معتدلة وتكلفة تشغيل عليا . وأيهما أجدى اقتصاديا . وينضوي

في المستقبل لخمس عشرة سنة أخرى ، خاصة فيما يتعلق بالمحافظة على مستوى الضغط في المكامن .

كيف يمتد التخطيط لتطوير النفط؟

ان أهم ما يستقطب اهتمام المسؤولين عن التخطيط لانتاج الزيت ويستأثر بعنايتهم اثناء اعدادهم البرامج الفنية الرامية لتطوير الانتاج ، هو الوجهة الاقتصادية . لذلك فهم يستعرضون الفرص التي لديهم ، فاما أن يستثمروا حقلا من الحقول الجديدة كحقل مرجان . أو الظلوف . أو البري ، أو جنى . أو كران . واما أن يطوروا حقلا من الحقول القديمة المنتجة .

ويعتمد اختيار احدي الطريقتين على حصيلة الدراسات والأبحاث التي يجرونها ، وكذلك على

نيويورك تقديرات مبدئية عن معدل الانتاج المطلوب خلال كل من السنوات الثلاث المقبلة لكل نوع من أنواع الزيت الخام الثلاثة التي تنتجها ارامكو وهي : الخام العربي الثقيل ، والمتوسط ، والخفيف . وبعد اضافة تقديرات ادارة المبيعات المحلية بالنسبة للاستهلاك المحلي ، يقوم هذا القسم بوضع البرامج التخطيطية آخذا بعين الاعتبار زيادة طاقة مرافق الانتاج المبدئية على التقديرات الانتاجية المتوقعة ، وذلك لمواجهة أى خلل طارئ أو أية ضرورة تدعو الى ايقاف بعض مرافق الانتاج للصيانة ، واحتسابا لاية زيادة غير متوقعة قد تطرأ على الطلب على الزيت في المستقبل . وبالإضافة الى ذلك يحاول المسؤولون اثناء التخطيط للسنوات الثلاث المقبلة ، أن يتأكدوا من أن القرار الذي يتخذونه اليوم يتلاءم مع القرارات التي سيتخذونها



خطوط الأنابيب المختلفة الأحجام تحمل الزيت ومنتجاته الى منافذ التصريف الأربعة تبعا لمخططات مرسل الزيت .



أحد معامل فرز الغاز من الزيت التابعة لمنطقة السفانية .

تحت لواء الطريقة الاولى المعامل الاوتوماتيكية التي لا يتطلب تشغيلها عددا كبيرا من الموظفين ، بيد أن انشاء هذه المعامل يكلف أكثر من غيرها .

التخطيط للزيت

قبل عشرين يوما من بداية كل شهر تتلقى الآلة الحاسبة الألكترونية في رأس تنورة من مثيلتها الموجودة في مكتب الشركة في نيويورك برنامجا شهريا يتضمن أسماء الناقلات التي سترد فريضة رأس تنورة ، وتاريخ وصولها ونوع الحمولة التي ستشحنها وسعتها وخط سيرها الى غير ذلك من المعلومات . وتوزع نسخ من هذا البرنامج على المسؤولين لدى ادارة التخطيط وتنظيم توريد الزيت في الظهران ، وعلى فرق التشغيل في كل من رأس تنورة وبقين وذلك لاعطائهم فكرة عن كميات الزيت الخام والمنتجات التي ينبغي شحنها يوميا . مع الأخذ بعين الاعتبار ما قد يطرأ على برنامج الناقلات من تغيير اضطراري وأخذ الحيلة لذلك . ولتأمين طلبات الناقلات يقوم المسؤولون عن ترحيل الزيت بوضع برنامج تفصيلي لسير أعمال مختلف مرافق الانتاج ، بعد معرفة كميات الزيت والمنتجات المتوفرة في الخزانات ، فيحددون عدد الآبار ومعامل فرز الغاز من الزيت التي ستعمل في كل حقل ، والطاقة التي ستعمل بها ، والمرافق التي ينبغي إيقافها للصيانة والمرافق التي ينبغي إيقافها عند الضرورة لتحديد كمية الانتاج في حال تأخر بعض الناقلات ، كما يحددون خطوط الأنابيب التي سيضخ الزيت عبرها ، ومقدار الضغط الذي ستعرض له ، بالإضافة الى تحديد عمل معامل التركيز ومحطات الضخ وغيرها ، آخذين بعين الاعتبار تشغيل بعض المرافق المعينة قبل غيرها ، وذلك لتأمين كميات الغاز الضرورية لحقنها في جوف الأرض للمحافظة على مستوى الضغط فيها . ويحاول هؤلاء المسؤولون جعل كميات الانتاج اليومية ثابتة قدر المستطاع ، وذلك للحيلولة ما أمكن دون إيقاف بعض الحقول ثم إعادة تشغيلها لما في ذلك من مشكلات فنية ، فتراهم على اتصال مستمر بمختلف حقول الزيت بواسطة عدد من الأجهزة السلكية واللاسلكية لتلقي المعلومات عما يطرأ على الانتاج من تغييرات مفاجئة ، بغض النظر عن الأسباب ، واعطاء القائمين على هذه المرافق الارشادات المناسبة وما يرتأونه من تعديلات في الانتاج.



أحد مخيمات فرق التنقيب عن الزيت في منطقة الربع الخالي .



الآلة الحاسبة الألكترونية في رأس تنورة ، وهي صنو الآلة الحاسبة في الظهران، وهما تستخدمان في اعداد كافة المعلومات عن الانتاج وحركة الناقلات والتغييرات الطارئة على برامج الشحن بين مكتب الشركة في نيويورك والادارة العامة في المملكة العربية السعودية.



القسم الأكبر من زيت أرامكو يحتاج الى التركيز قبل شحنه الى الأسواق العالمية .



يبقى مرحل الزيت على اتصال دائم بمعامل فرز الغاز من الزيت ، لتحديد معدل انتاج كل منها تبعاً للطلب .



منظر عام للجزيرة الاصطناعية في رأس تنورة وقد أخذ عن كتب .



أربع ناقلات زيت ضخمة أثناء شحنها
بالزيت الخام والمنتجات البترولية من
الجزيرة الاصطناعية .

التخطيط لتكرير الزيت

تلبية لطلبات الشركات الأم من المنتجات المكررة من الزيت الخام ، يقوم المسؤولون عن ترحيل الزيت بضخ الكميات الضرورية منه لصنع هذه المنتجات الى معمل التكرير في رأس تنورة . وهناك يقوم مخططو التكرير ، اعتمادا على البرنامج الشهري الذي يحدد المنتجات المطلوبة وكميتها ، واعتمادا على المعدل الثابت لانتاج كل وحدة من وحدات معمل التكرير ، بوضع برنامج لأعمال مختلف وحدات معمل التكرير ، مراعين فيه أمر زيادة الطلب على بعض المنتجات دون غيرها ، كتشغيل وحدات تقطير الزيت الخام بأقصى طاقة ان كان الطلب على الكيروسين والديزل أكثر منه على غيره ، وتشغيل وحدات قطف الزيت الخام بالطاقة القصوى ان كان الطلب على النفط أكبر منه على غيره . ويشمل التخطيط للتكرير ، التخطيط أيضا لوحدة المزج لتسمي المنتجات النهائية مطابقة تماما للمواصفات المطلوبة .

هذا ويقوم مخططو معمل التكرير اسبوعيا ، بمراجعة جداول الانتاج الحقيقية ومقارنتها بالبرنامج الرئيسي الموجود لديهم ، واجراء التعديلات الضرورية اللازمة لجعل انتاج معمل التكرير في نهاية الشهر مطابقا للبرنامج الرئيسي قدر المستطاع .

التخطيط للفرصة البحرية

والفرصة البحرية أيضا مخططون يضعون برنامجا لتشغيل مختلف منشآتها ولصيانتها . قترام يحددون مكان رسو كل ناقلة من الناقلات ، وموعد بدء شحنها بالزيت ، وجهاز

التعبئة الذي سيخصص لها ، وخط الأنابيب الذي سيضخ الزيت عبره ، والسرعة التي تتم بها التعبئة ، الى جانب توجيه التعليمات والارشادات الى مرشدي الفرصة وموظفي قسم ترحيل الزيت . وهكذا فان المخططات التي يجري وضعها لترحيل الزيت وتكريره ونقله وشحنه ، والبرامج التي يجري اعدادها لتطوير الانتاج في المستقبل كلها ترمي الى هدف واحد ، وهو تأمين طلبات الشركات الأم ، التي تمثل طلبات الأسواق العالمية ، بسرعة ودقة وعناية .

عبدالله



تسجل على لوحة في مكتب التخطيط في رأس تنورة أسماء الناقلات الموجودة في الفرصة ، والمنتجات التي ستحملها ، وموعد بدء تعبئتها وغير ذلك من المعلومات الضرورية .

الطَّمَعُ وَالطَّمُوحُ

ويستهوي النفس . ويقول أبي ذؤيب الهزلي في هذا :

والنفس راغبة اذا رغبتها

واذا ترد الى قليل تقنع

والآتي يشير الى ماى مطامع الإنسان ورغبته الجائرة في التملك والاستحواز . قيل لأشعب ذات يوم « ما بلغ من طمعك ؟ » قال : « ما رأيت اثنين يتساران قط . الا كنت أراهما يأمران لي بشيء » .

والطمع قريب الحسد . فإذا عجزت النفس الطامعة عن امتلاك ما تريد امتلاكه ، انقلبت الى نفس حاسدة حاقدة آثمة . لأن الطمع بطبيعته رغبات طائشة تنقاد لها النفس .

وفي حالة الطمع تسيطر « الأنا » السلبية على المرء سيطرة تامة ، بحيث لا تستطيع معها أن تقاوم المغريات ولا تجاهد الأهواء لأن المرء في هذه الحالة يكون فكرة عن نفسه نابعة من داخله ، فيرى أنه أكثر رقباً وأسمى موهبة من غيره ، وإن له حقاً منكوراً في الثروة والجاه .

وما هو الا كبش قداء ، وضحية مجتمع لا يقدر عبقريته ولا يقوم مواهبه . ويمضي المرء في أفكاره الخاطئة فينسخ الحق بالباطل ، ويلغي العدل بالاعوجاج ، ومن ثم تعمل « الأنا » على قلب القيم وواد الأخلاق . وفي هذا الجو المشحون بالألم والمغالطات ، تتحرك الميول الراقدة طاغية مكتسحة ، وتثار الأهواء المكبوتة عاتية معترمة ، وتصبح النفس عصبية متمردة . ويصير هول عاصفتها مدمراً ماحياً ، و رهبة تجهمها مروعة مزعجة . وفي هذه الحالة يصعب على الإنسان أن يشعر بلاشيئته أمام من تفوقوا عليه ، ويؤمله أن يجد نفسه كالعشب حول السندبانة الجبارة التي لا تهاب هب الريح . وهنا تنكص رغباته ، وتعتكر نفسه ، ويمضي صفوها ، ويعالجها الشجو ، وينمو عنده شعور بضعفه فلا يقوى على الثبات أمام رغباته وأهوائه ، ولا

هو غاية الغايات للطامع والطماع ، ويكاد يكون الفارق بينهما - في شيء من الإيجاز - هو الفرق بين القاصر والقادر .

وكلاهما رغبة ، الا أن رغبة الطموح فيها من الوعي والاحساس ما يجعل صاحبها يشعر بكل هذا ، فيتجنبه ما أمكن ، بينما رغبة الطمع غلبة عمياء ، تغفل في النفس وتستبد بها ، وتفقد أترانها وصوابها .

وإذا كان الامتلاك هو غاية الاثنين ، فان الوسيلة تختلف كل الاختلاف لأدراك هذه الغاية المرغوب فيها ، فالطامع يشتهي التملك دون جهاد ، لا لكسل منه ولكن لضعف فيه . فهو يحاول الاجتهاد ولكن سرعان ما يناله الاعياء والاجهاد ، وذلك لأن قدراته محدودة بحيث لا تحقق له ما يطمع في تحقيقه . وهنا ينشأ صراع في النفس نتيجة عجزه وقصوره . وتكون كلمة الشاعر « عيسى بن موسى » قد أصابت المحز ، وهي :

القلب يطمع والأسباب عاجزة

والنفس تهلك بين العجز والطمع

وعدم تحقيق مطامع الإنسان - مع تقدم غيره - تولد في نفسه آلاماً قد تدفعه الى القيام بمحاولات غير اخلاقية تقوم على أساس المبدأ « المكافئ » الغاية تبرر الوسيلة فيهدر كرامته ، ويعبث بحرمته ، مدفوعاً بحكم نزواته وأهوائه . وقد أورد ابن قتيبة في « عيون الأخبار » بيتاً لأحد الشعراء يقول فيه :

حسبي بعلمي لو نفع

ما الذل الا في الطمع

وما يروى عن « أشعب بن جبير » الطامع : « انه كان له خرق في بابه فيتام ويخرج يده من الخرق ويطمع أن يجيء انسان فيطرح في يده شيئاً من الطعام . وقد لاقى أشعب ما لا يسر خاطره نتيجة لذلك .

والطماع يميل الى امتلاك كل ما يروق العين

بقلم الاستاذ أحمد حسين الطماوي

يستطيع التخلص من أغلاله ، فيحقد وينفث سموم حسده فيمن حققوا ساميات الرغائب . وفي حالة الحسد ، تختل موازينه وتضطرب أحواله ، ويتحسس الألم وهو يطوي بهجته . وقد أورد الماوردي في كتابه « أدب الدنيا والدين » قول بعض الحكماء : « يكفيك من الحاسد انه يغم في وقت سرورك » .

وفي الأدب العربي أمثال وافرة ، وإشارات كثيرة عن الطمع والطامعين ، تصف أحوالهم المختلفة ، وتبرز اتجاهاتهم المتباينة ، كما أن في هذه الأمثال والأشعار ما يوصي بالقناعة موضحة للناس فضائلها ومزاياها . ومن هذه الأمثال أو الحكم المشهورة ما جاء في كتاب « العقد الفريد » لابن عبد ربه « غثك خير لك من سمين غيرك » . وقال أبو الأسود الدؤلي في رجل : « اذا سئل أرز ، واذا دُعي انتهز » . وقال سعد ابن أبي وقاص في وصيته لابنه : « يا بني ، اذا طلبت الغنى فاطلبه بالقناعة ، فانها مال لا ينفد ، وإياك والطمع فانه فقر حاضر » . ويضرب المثل بطمع أشعب فيقال : « أجسر من قاتل عقبة ، وأحلم من أحنف ، وأشأم من طويس ، وأطعم من أشعب » . ويقال : « القناعة كنز لا يفنى » . ويقول البحري :

اذا ما كان عندي قوت يوم
طرحت الهم عني يا سعيد
ولم تخطر هموم غد ببالي
لأن غدا له رزق جديد
وقول محمود الوارق :

غنى النفس يغنيها اذا كنت قانعا
وليس بمغنيك الكثير من الخوص
وأن اعتقاد الهم للخير جامع
وقلة هم المرء تدعو الى النقص
أما الطموح فيدخل تحت مبدأ التطور الطبيعي والتغيير المستمر في حياة الانسان . والمرء في حالة

الطموح يخرج عن الذات المحدودة ، مستهدفا حياة أرقى ومستوى أفضل ، حيث تعذب عيشته قتره يلهو لهو من لا يعرف الضيق ولا الفقر . ريب أن الطموح يلعب دورا فعالا **ولل** مستمرا في حياة كل انسان ، والطموحات الشخصية لازمة من لوازم الحياة عند الأفراد والجماعات . وتحاول الذات في حالة الطموح التكيف السليم بين الرغبات والآمال من ناحية ، والظروف الحرجة والأحوال المتغيرة من ناحية أخرى ، بأن تكون على اتساق مع الأساطير الاجتماعية ، وفي دأب دائم لتذليل العقبات الطارئة ، واخضاع الأحداث العارضة . والطامح غالبا ما يجعل الطريق الى هدفه عدة مراحل ، ما أن تنتهي مرحلة حتى تبدأ أخرى . وفي سبيل تحقيق طمحاته قد يدخل حلبة المنافسة التي قد تقوده الى مشاكل لا ينتظرها ، فالطرق قد لا تكون مفتوحة أمامه ، وقد تكون هناك عوامل كثيرة تثبط عزيمته ، ولكن الأمل لا يفتأ يحركه وينشطه . ففي حالة الطموح توظف الرغبات والحاجات والميول .

ويرتبط الطموح دائما بالقدرات والامكانيات وقوة الإرادة والتصميم ، والعزيمة التي لا تلين والهمة التي لا تفتر وتوفر الحوافز والقوى الدافعة . يضاف الى ذلك القدرات الخاصة بالتعبير وتهذيب اللغة والسلوك ، وملاءمة الأسلوب حتى تقرب الطامح من أهدافه ، كما يجب على الطامح أن يكون دراية بأحوال النفس ونظامها ، مع عدم اغفال الحالة الجسمية أو البدنية ومقدار النشاط العضلي والذهني .

أما بواعث الطموح فانها كثيرة ، وجذورها ضاربة في أعوار النفس الانسانية . وقد تكون هذه البواعث هي ظروف نفسية واجتماعية وخلقية . فبالنسبة للظروف النفسية قد يكون الطموح نتيجة ارضاء للنفس أو إعجاب بها ، وقد يكون لمجرد تحقيق القوة للاستفادة منها في التغلب على

الأعداء ، أو لمجرد احساس بالنقص ازاء الناس الذين يتفوقون على الطامح في ميدان من الميادين التي يطررها ويعرض لها . وقد يكون استجابة للقلق ، فتفاعل الانسان مع القلق يدفعه الى الطموح سواء بالاستجابة له أو بالتخلص منه ، فهو بطموحه يرتفع الى ما يعلو على القلق . وقد تكون الغيرة ، وخصوصا من الأنداد والقرناء والأقرباء ، باعثا قويا الى تحقيق أفعال تفوق على ما تصنع أباذي الآخرين وما تنتج قرائحهم . الظروف الاجتماعية فان الأزمت الناشئة عن مشاكل الحياة اليومية ، وعدم الرضا بمستوى العيش الخفيض ، والرغبة في ملاحقة التطور العالمي فسي شئون الحياة الاجتماعية ، قد تدفع الانسان الى الطموح وتحركه الى أهداف تحقق له ما يكفل أمنه واستقراره بوجه أفضل . وإن أصدق معلومات عن الشخص تأتي عن طريق أفعاله باعتباره أن هذه الأفعال تأتي معبرة عن دوافعه ورغباته ومواقفه الاجتماعية .

ولما الظروف الخلقية فان بعض التشويه الخلقي في الجسم ، مثل الحذب والصمم والقصر والعمى ، قد يدفع الانسان دفعا ملحا الى التعويض عنه بطريق الطموح وتحقيق أغراض أعلى من المستوى العادي .

وقد شغلت نظرية « الدوافع » أو القوى الفعالة علماء النفس . فخصص لها « ريد - T.Reid » مجموعة مقالات عن القوى الفعالة في العقل الانساني . وقال « موري - Murray » : « ان الحاجات هي الدافع الى الفعل » . بينما يرى « ماكديوجال - McDougall » ان الغرائز هي مصدر الدافع الى الفعل . ويصف « هوبس - Hobbes » الرغبات بأنها حركات ارادية . أما « فرويد - Freud » فيرى أن الطموح عبارة عن نزوع تعويضي يسببه الأخفاق أو الفشل الذي يتعرض له الانسان ■

مشاريع بترومين

جانب من أعمال التنقيب عن المعادن التي تجرى
في المنطقة الغربية من المملكة العربية السعودية .



في حقل المعادن والصناعات المعدنية

بسم الله الرحمن الرحيم
بفضل من الله وتوفيقه
قامت مؤسسة محمد بن عبد الله بن فيصل بن عبدالعزيز بن سعود
« بوضع الحجر الاساسي للمرحلة الاولى »
لمصنع الحديد والصلب
وذلك في يوم السابع عشر من ذي الحجة ١٣٨٥
الموافق للشام من شهر ابريل ١٩٦٦ م

لوحة تذكارية يشاهدها الزائر لمعمل الحديد والصلب على
مدخل مبنى المكاتب العامة .

المقدمة العربية السعودية تسير اليوم قلما في شتى الميادين الحيوية . أثر النجاح الذي أحرزته في انتاج البترول ، حيث أصبحت تعد رابع دولة منتجة للزيت في العالم ، وجهت أنظارها نحو استغلال الثروات المعدنية ، فقامت المديرية العامة للثروة المعدنية التابعة لوزارة البترول والثروة المعدنية بالتنقيب عن المعادن في مختلف مناطق المملكة ، أسفرت عن العثور على ما يربو على ثلاثين نوعا من المعادن الفلزية مثل الحديد ، والنحاس ، والذهب ، والفضة ، والزنك ، والفوسفات ، والبارايت ، واللافلزية كالجرايت ، والجبس ، الرخام ، والملح ، والسليكا ، والاسبستوس . وعقب العثور على هذه الخامات ، عهد الى المؤسسة العامة للبترول والمعادن (بترومين) باستغلالها ، فشرعت بوضع المخططات والبرامج التفصيلية لاستغلالها تدريجيا . ونظرا لاتساع مجالات استخدام الحديد في العصر الحاضر ، وكونه عنصرا أساسيا في حقل البناء والعمارة ، وتوفر خاماته بكميات كبيرة في المملكة ، بدأت « بترومين » نشاطها التعدين باستغلال هذه الخامات واستخدامها في اقامة صناعات متكاملة للحديد والصلب تبدأ بتعدين الحديد من مناجمه وتنتهي بتصنيعه منتجات انشائية مفيدة . وبالإضافة الى ذلك عكفت « بترومين » جادة على انهاء دراساتها المتعلقة باقتصاديات المعادن وهندسة المناجم للوصول الى أفضل الطرق وأكثرها فعالية وربحا لاستغلال مختلف الثروات المعدنية الأخرى .

خامات الحديد

أسفرت الدراسات التفصيلية التي أجرتها وزارة البترول والثروة المعدنية عن العثور على خامات حديد في ثلاث مناطق مختلفة من المملكة العربية السعودية ، هي : منطقة « الصواوين » وتعتبر أغنى مناطق المملكة بالحديد ، اذ تبلغ مساحة الرقعة التي عثر فيها على رواسب الحديد حوالي ٥٢ كيلومترا مربعا . وخامات هذه المنطقة من نوع « الهيماتيت » المتوسط الجودة ، ونسبة الحديد فيها حوالي ٤٠ في المائة . وهي ذات موقع جيد اذ لا تبعد عن شاطئ البحر أكثر من عشرين كيلومترا تقريبا ، ومنطقة « وادي فاطمة » وتبعد عن جدة نحو ٤٠ كيلومترا ، وتقدر كمية خام الحديد الموجودة فيها بنحو ٥٠ مليون طن ، وحديد هذه المنطقة من نوع « الهيماتيت » المتوسط الجودة أيضا ، وهي أول منطقة سيباشر في استغلالها

لدى استكمال مراحل مشروع الحديد والصلب ومنطقة « جبل ادساس » ، وكمية احتياطي خام الحديد فيها قليلة نسبيا ، اذ تقدر بحوالي ٦,٥ مليون طن ، الا أنها من نوع « المجناتيت » ، وعلى درجة عالية من الجودة . ولا تزال هناك دراسات جادة تجرى في هذه المنطقة في سبيل العثور على كيات جديدة من الحديد .

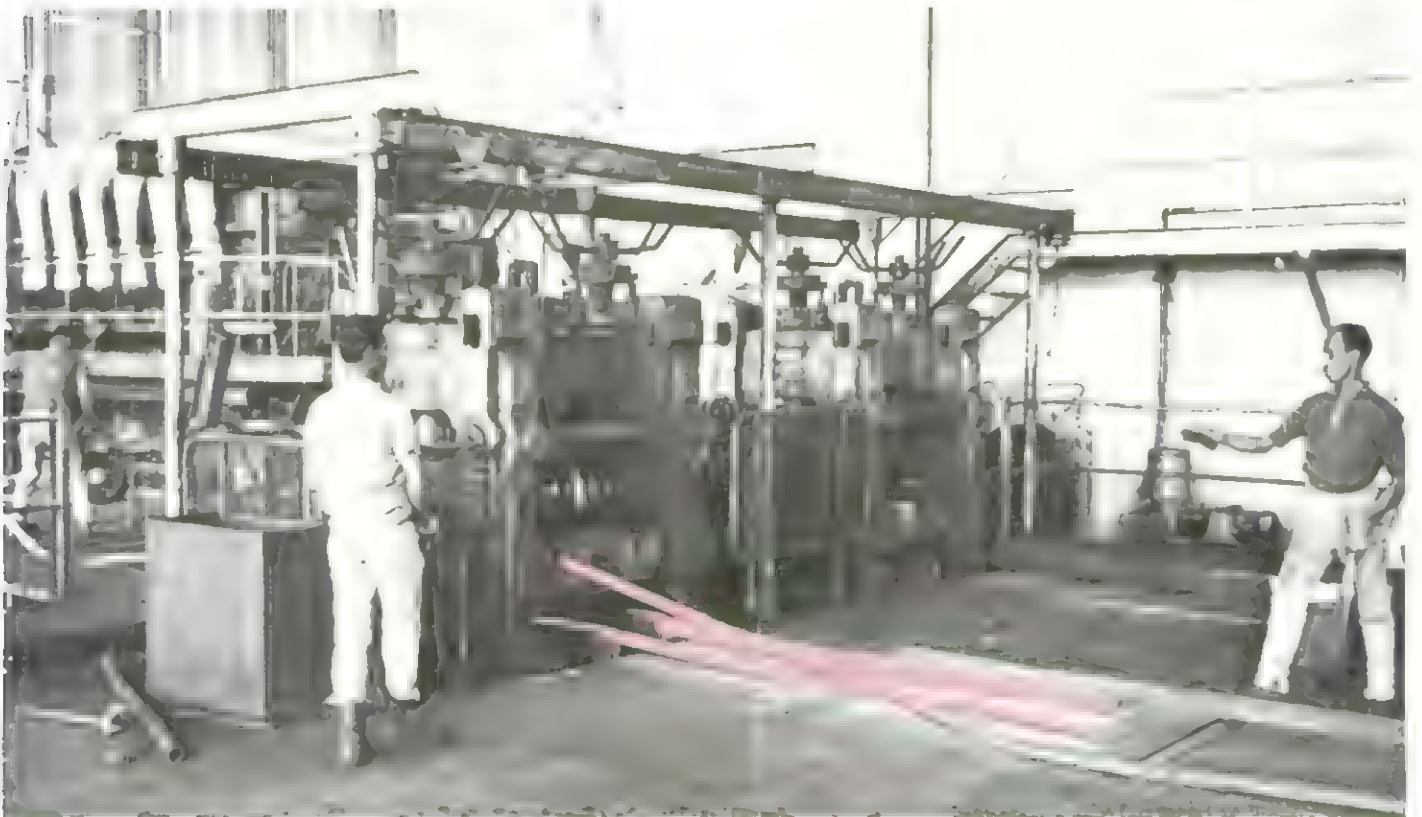
صناعة الحديد والصلب

عهدت « بترومين » اثر العثور على خامات الحديد الى انشاء مصنع للحديد والصلب في مدينة جدة يتألف من ثلاث مراحل رئيسية ، ومن ثلاث مراحل فرعية . والسبب في جعله يمر بعدة مراحل هو العقبات التي يواجهها ، ومنها صغر حجم السوق المحلية ، وقلة الأيدي العاملة المدربة ، ونقص الخبرة الفنية .

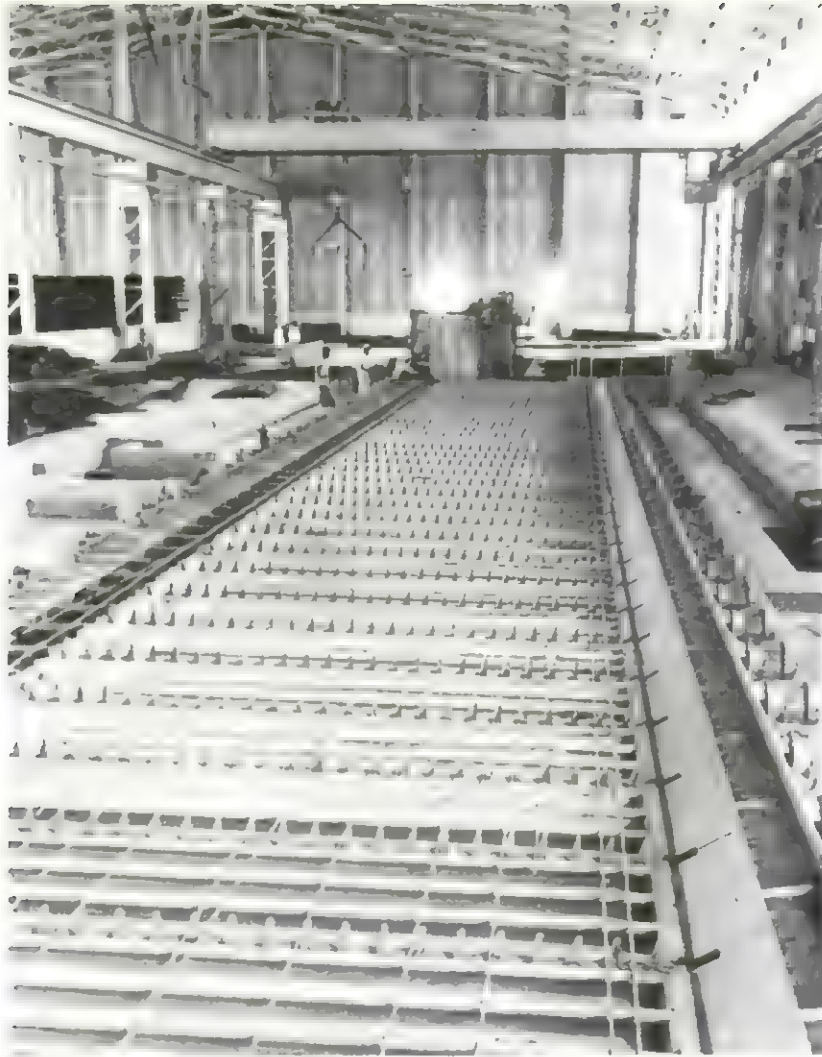
المرحلة الأولى تم حتى الآن تنفيذ المرحلة الأولى من هذه الصناعة ، وهي تحويل سبائك الصلب المستوردة الى قضبان وزوايا وحديد مبسط تستخدم في البناء . وكانت مواصفات اقامة المصنع قد طرحت في مناقصة عالمية اشتركت فيها عدة شركات ، ففست أخيرا على شركة (روبرتسن) الانكليزية التي تعهدت بتدريب عدد من السعوديين على أعمال المصنع الفنية . وقد استغرق انشاء المصنع ثلاث سنوات ، في يونيو عام ١٩٦٧ ، لتبدأ اثر ذلك عمليات التشغيل التجريبية التي استغرقت مدة أربعة أشهر تقريبا وتمت بنجاح . عندئذ بدأ العمل انتاجه الحقيقي بطاقة مقدارها ١٥ ألف طن سنويا في النوبة الواحدة ، وهناك مجال لتوسعة العمل داخليا لرفع طاقته السنوية الى نحو ٧٠.٠٠٠ طن .



تنقل مباتك الصلب بواسطة رافعة رأسية كهربائية .



تسحب المباتك المحمأة عبر آلات خاصة عدة مرات حتى تتخذ الأحجام والأشكال المطلوبة .



يقوم المصنع في بناء ضخيم هيكله من الفولاذ وبطانته من صفائح «الاسبتوس» ، و يبلغ طوله حوالي ٢٠٠ متر ، وارتفاعه حوالي ١٢ مترا ، وهو مكون من جناحين عرض كل منهما حوالي ٢٣ مترا . فالجناح الجنوبي يضم مرفقا لخزن السبائك وقصها حسب الأحجام المطلوبة ، كما يضم الأفران التي تقوم بتسخين هذه السبائك الى حوالي ١٢٠٠ درجة مئوية . ويستخدم لنقلها عبر مختلف هذه المراحل ، رافعة رأسية كهربائية (Electro—Mazirat) .

وتخرج السبائك اثر تسخينها من مؤخرة الفرن الى الجناح الثاني من المصنع حيث تمر الواحدة تلو الأخرى عبر منصات التشكيل مرات عديدة ، لتمسي في النهاية منتجات ذات مواصفات وأطوال وأشكال معينة ، ثم ترسل الى المخازن تمهيدا لنقلها الى الأسواق .

وينتج المصنع حاليا أربعة أنواع من المنتجات ذات المقاسات المختلفة هي : أسلاك تسليح (يتراوح مقياسها ما بين ٦ و ١٠ ملليمتر) ، وقضبان تسليح (يتراوح مقياسها من ١٠ الى ١٢ ملليمتر) ، وحديد مبسط (سنة مقاسات مختلفة) ، وحديد زوايا (ثلاثة مقاسات مختلفة) . ويسمى باستطاعة المصنع اثر انتهاء بعض التوسعات الداخلية انتاج ثمانية أنواع أخرى من المنتجات هي : حديد مربع (ثمانية مقاسات مختلفة) . وقضبان حديد (سبعة مقاسات اضافية) وحديد مبسط (اثنا عشر مقاسا) .

ويلحق بالمصنع مبنى نموذجي للمكاتب الادارية ، يقوم الى جنوبيه جهاز لمعالجة المياه ، وخزانات لمياه التبريد ، ومحطة لتوليد الطاقة الكهربائية .

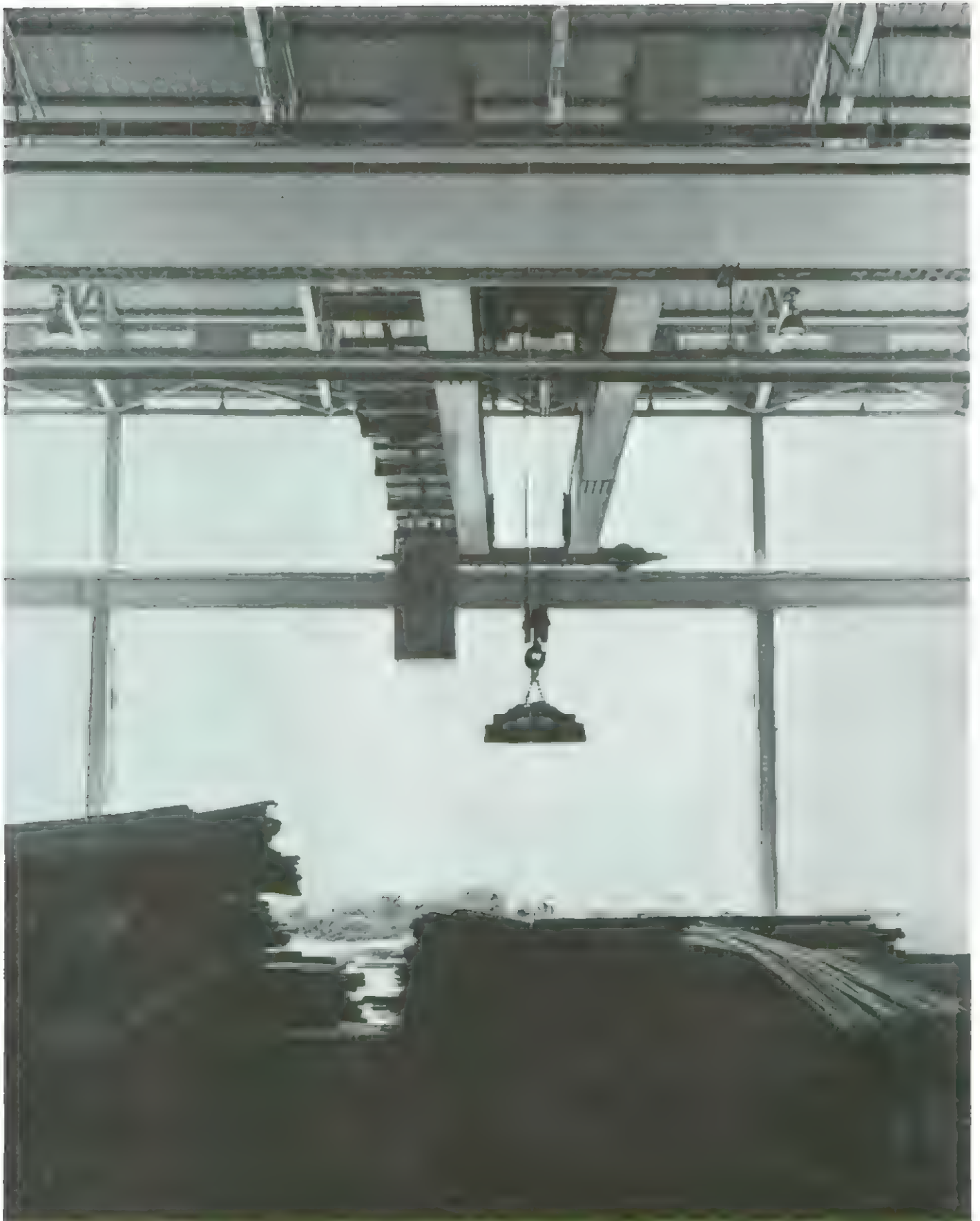
المرحلة الثانية والثالثة

لدى استكمال المرحلة الأولى من المشروع بجميع خطواتها التوسعية يعمد عندئذ الى تنفيذ المرحلة الثانية منه التي يتمهاها يسمى بإمكان المصنع انتاج سبائك الصلب محليا . كما يمكن حينذاك انتاج قضبان حديدية مجوفة على شكل حرف « U » (أربعة مقاسات) ، وعوارض حديدية (أربعة مقاسات) ، وقضبان لسكة الحديد « F. B. Rails » (ثلاثة

ترص المنتجات الجاهزة على منصة خاصة بانتظار قصها حسب الأحجام المطلوبة وتخزينها .



تقص السبائك قبل دخولها الأفران الى أحجام معينة .



نقل قضبان احديد الجهرة الى مستودعات التخزين تمهيدا لتسويقها . تصوير : أحمد متناخ

٤٠ و ١٢٠ ستيتمرا ، وذلك لتسويقها داخليا وفي البلاد العربية المجاورة تلبية لطلبات شركات الزيت المتزايدة عليها .

مشاريع جديرة قيد الدراسة

لقد تم العثور على مادة الفوسفات في المنطقة الشمالية من المملكة العربية السعودية على مقربة من مدينة طريف . ولا كانت هذه المادة تشكل عنصرا رئيسيا في صناعة السماد وفي غيره من الصناعات الكيماوية ، فان وزارة البترول والثروة المعدنية تدرس حاليا أمر تعدين هذه المادة واستغلالها ، في حين تدرس « بترومين » أمر ادخال هذه المادة على صناعة الأسمدة الكيماوية التي ستبدأ قريبا في المنطقة الشرقية من المملكة . هذا وتجري في الوقت نفسه دراسات أخرى جادة حول استغلال خامات المغنيسيوم والفضة والنحاس والبارايت اثر مسح مواقع ترسبها وتحديد لها ، وتقدير الكميات الموجودة منها في المملكة .

لقد خطت « بترومين » خلال السنوات الخمس من عمرها خطوات كبيرة في حقل البترول والمعادن وليس بعيد أن يأتي اليوم الذي تملأ فيه مداخن المصانع أجواء مدن المملكة ، مسهمة بذلك في دعم اقتصاد هذا البلد ■

والصناعية في جدة أن مجموع تكاليف المرحلة الأولى من مشروع صناعة الحديد والصلب بلغت (٣٠٠.٨٠٠.٠٠٠) ريال سعودي بينما يتوقع أن تبلغ تكاليف المشروع لدى اكتمال مراحلها الثلاث حوالي ١٥٠ مليون ريال سعودي .

المراحل الفرعية

أما المراحل الفرعية التي يشملها مشروع الحديد والصلب ، فهي اقامة مصنع لانتاج الأنابيب ، وآخر لانتاج القضبان الحديدية في الرياض ، وثالث لانتاج الصفائح الحديدية . ويتوقع أن تبدأ « بترومين » بتنفيذ هذه المراحل في الوقت الذي يتم فيه تنفيذ المرحلة الثانية من مراحل المشروع الأساسية . اما بالنسبة للمرحلة الاولى وهي صناعة الأنابيب ، فان « بترومين » تدرس حاليا انشاء مصنع لانتاج أنابيب حلزونية تتراوح أقطارها بين

مقاسات) ، وزوايا حديدية « B. S. E. Angles (أربعة مقاسات) وحديد على شكل « T » (ثلاثة مقاسات) ، وحديد « B. S. U. T. A. » (أربعة مقاسات) .

ومنى أنجزت المرحلة الثانية من المشروع يعمد الى تنفيذ المرحلة الثالثة التي تختص باستخراج الحديد الخام من منطقة ترسبه في « وادي فاطمة » ، وتنقيته وصهره ، وبالتالي صنع السبائك المعدنية منه . ولدى انجاز هذه المرحلة تكون المملكة العربية السعودية قد أصبح لديها صناعة وطنية متكاملة للحديد والصلب . وقد ذكرت مجلة « التجارة » التي تصدر عن الغرفة التجارية



تطوى بعض القضبان الفولاذية الطويلة على شكل لفائف تهيلا لخزنها ونقلها . تصوير : أحمد متناخ

وفاء المتمدن

بقلم : الأستاذ عبد الله عيسى

- « ابن شاليب » .. ما كان أغناه عن تقدير نفسه بأكثر مما يساوي ، فيلقى المصير الذي لقيه عندنا .
- قالها « المعتمد بن عباد » لجلالته .
- و « المعتمد » كان من خيرة ملوك الأندلس ، جلس على عرش أشبيلية زمنا كان زمن ازدهار ، اقتصادا وعمرا وأدبا .
- بينه وبين « ألفونس » الأسباني **ولدت** عهد ولاء . وغير مرة تبادل وإياه السفراء . ومن سفراء « ألفونس » كان « ابن شاليب » ، وقد بدرت منه بادرة عداها المعتمد اهانة شخصية له ، فأمر على الفور بشفقه . ومن أقرب جلسائه إليه كان شاعره ونديمه « ابن نباته » ، فقال هذا :
- ما أخال « ابن شاليب » تجرأ على تحدي الأسد في عربته بدافع من نفسه .
- وأثار قوله اهتمام « المعتمد » ، قال :
- بدافع ممن فعل ؟
- بدافع من مولاة .
- من « ألفونس » .. أتجهل أن بيني وبين ملك الأسبان هذا عهد ولاء .
- كلا يا مولاي ، ولكن ..
- ولكن ماذا ؟ ..
- عهد الولاء تنقضي ، متى كان من وراء نقضها مأرب لأحد الطرفين المتعاهدين .
- والمعتمد لا يجهل هذا ، قال :
- ويحك ، يا ابن نباته .. أالشعر والسياسة أنت ، ولا ندري ؟
- قال الشاعر الذكي :
- من عاش في قصور الملوك ، أخذ عن أربابها الصيد ، أو كان غير جدير بخدمتهم وعاود الاهتمام بالمعتمد ، قال :
- وما مأرب « ألفونس » من نقضه العهد ؟
- العود الى الحرب .
- العود الى الحرب ! .. أمن مصلحته هذا ؟
- ليس لي أن أجواب عنه .
- وهو في رأيك من دفع ابن شاليب الى ما بدر منه ؟ !
- ومن أغرى « ابن لاطون » بانارة الفتنة التي أثارها في قرطبة على الأمير الظافر ؟
- وهذا في رأيك ؟ !
- قالها المعتمد وقد بلغ اهتمامه الذروة . فالأمر جدّ خطر . ومع ذلك فقد كان على الملك العربي أن لا يتنازل عما تعود مجابهة الأحداث به من رباطة الجأش ، قال :
- وما تراه فاعلا ، بعد أن لقي كل من « ابن شاليب » و « ابن لاطون » جزاءه ؟
- قال ابن نباته :
- لم يبق الا أن يعلن الحرب .
- قال المعتمد هادئا :
- ونحن لها .. سالمناه اذ أراد السلم ، ونحاربها ان أراد الحرب .. وعودنا لا يكسر . وأعلن حاجب المجلس :
- عاد الوزير « ابن سعيد » من قرطبة ، وهو يستأذن بالمثل بين يدي مولاي .
- وأذن له المعتمد .
- وكان « ابن سعيد » وزير بلاط أشبيلية ،

وصاحب الرأي الأول فيه ، وفتنة قرطبة أثارت قلق البلاط ، فراح بنفسه لاكتشاف سر تلك الفتنة .

قال له المعتمد :

— هات ، يا « ابن سعيد » .. من كان وراء « ابن لاطون » في فتنته تلك ، وكيف اتصل بولدنا الظافر نبأها ؟

قال ابن سعيد :

— تعرف يا مولاي « أبا الحسن » التاجر .. قال المعتمد مهتما :

— كبير تجار الأندلس ! .. ما شأنه في الأمر ؟ لأبني الحسن هذا ولد نابه يدعى « نصير » ، له في ميادين الأدب كما في ميادين الفروسية جولات ، ويقضي معظم أيامه في قرطبة باحثا عن الجديد من كتب العلم ورسالاته .

— ليضيف الى ثروة أبيه الفانية ثروة لا تفنى .. أتعرفه يا « ابن نباتة » ؟

أجاب الشاعر :

— أعرفه ، وتربطني به وبأبيه أطيب الصلات . قال المعتمد بلهجة العاتب :

— أترى أنك مقصر في واجبك ؟

وبوغت الشاعر بما سمع ، وقال :

— كيف ، يا مولاي ؟

— أياكون في الأندلس فتى أدب كهذا ، ويبقى بعيدا عن بلاط المعتمد بن عباد ؟

سري عن الشاعر ، قال :

— عفو مولاي ..

وتابع المعتمد قائلا :

— أكمل ، يا ابن سعيد .

وأكمل الوزير قائلا :

— واذا كان « نصير » نزيلا على بعض خانات المدينة ، طرق سمعه حديث أدرك بنبأه أنه حديث مؤامرة على حياة الأمير الظافر ، يحبك خيوطها ابن لاطون .

— ابن لاطون شقي الأندلس الأكبر .

— وعلم في الوقت نفسه أن وراء هذه المؤامرة الأمير « بدر » أبا الملك « ألفونس » .

صَدَقَ إذن « ابن نباتة » . الملك « ألفونس » يريد تقض العهد ، يريد العود الى حالة الحرب ، وفتنة وراءها أخوه لا يمكن أن تكون غير المقدمة الحتمية لذلك .

وتابع ابن سعيد :

— وكان الأمير الظافر يستجيم في ضيعة له بعيدا عن المدينة ، فانطلق « نصير » لتحذيره ، وطوق الأشقياء بعدها مقره ، فقاتلهم قتالا صرعا « ابن لاطون » خلاله ، ولاذ الباقون من رجاله بالفرار .

— وابن أبي الحسن ؟

— يحدث الأمير الظافر عن فروسيته ، ولا يوازي شدة إعجابه به سوى ما كان من شدة قلقه عليه .

— شدة قلقه عليه ؟

— ذلك أنه ما انفك يقاتل الى جانبه ، ويصرع الواحد بعد الآخر من مهاجميه ، حتى هوى الى الأرض مشخبا بالجراح .

— وذات بال جراحه ؟!

قالها المعتمد قلقا ، فقال ابن سعيد :

— لا بأس منها عليه .

— وما فعل له الظافر ؟

— بذل وأطباؤه كل ما في الامكان بذله للعناية به ، ولما اطمأن الى حسن حالته ، بعثه الى دار أبيه نزولا على رغبته .

قال المعتمد متأثرا :

— أقل ما كان على الظافر أن يفعل هذا ، وعلينا نحن أن نبعث من يعود ويهني والده باسمنا على نباهته وصدق جنانه .

وقال لابن نباتة :

— اليك تعهد بهذه المهمة ، وعساك أن لا تستأثر بعد بصداقة أمثاله ..

قال الشاعر ضاحكا :

— لا أجهل يا مولاي ان الاستئثار بصداقة من كان كابن أبي الحسن في عهدكم خطيئة ولذا أسألكم العفو عن خطيئة ارتكبتها دون سابق قصد ، وأعدكم بأنني سأكفّر عنها بالبقاء عند الفتى الجريح الى أن يشفى ، ولا أعود الا به .

• • •

تجار الأندلس دعا المعتمد كبير الحسن ، وأبا الحسن ، وكان احد أوطد أركان مجتمعه نبلا وخلقا .

ومع ولده « نصير » كان يعيش في داره . وسرّ أبيه كان الولد . وفخر أبي الحسن به شديد .. وزاده فخرا ما كان منه لاحباط المؤامرة

التي استهدفت حياة الأمير الظافر ، فقد رأى في عمله شرفا لا يوازيه شرف القيام بأي عمل سواه . يكون سعيدا ، ولكن القدر أبي لك التجربته ، فاذا هو يفقد ، بين ليلة وضحاها ، كل ما جمع في حياته من مال . ومع ذلك لم يفقد نعمة البصر .

وقال لولده :

— الحمد لله ، يا بني .. يذهب المال ويبقى طيب الذكر ، والعاقل من اذا خيّر لا يستبدل هذا بذاك . وعلى شرفة للدار كان « نصير » ، تلفّ الضمادات بعض أعضائه الجريحة ، فقال غير قادر على كتمان تأثره :

— صدقت يا أبي ، ولكن .. أكتير على « أبي الحسن » أن يبقى له المال وطيب الذكر معا ؟ قال أبو الحسن متضاحكا :

— لا يسأل الله عن هذا ، يا نصير .. وحسبي أن يكون سبحانه وتعالى أعاضني عن المال الذي أعطانيه وأخذه ، بهذه الجراح التي أثخت بها ، وأنت تخوض أمجد معركة يخوضها انسان .

ولاح في حديقة الدار قادم ، وعرفه أبو الحسن وقال :

— صديقنا « ابن نباتة » هذا .

قال نصير متهللا :

— يا مرحبا بالأدب والصداقة .. وددت لو أنني قادر على الوقوف والمشي لأنزل الى الحديقة وألاقيه .

قال أبو الحسن :

— دعني أقم بهذا الواجب عنك .

— يا مرحبا ، يا مرحبا بصديقنا ابن نباتة .. لتعودني ولا شك أتيت .

قال ابن نباتة :

— بالنياية عن الملك .

وغمر الارتياح وجه أبي الحسن ، وقال :

— بالنياية عن الملك ؟!

وقال نصير متصنعا :

— وما أتيت من أمر يستأهل هذه الالتفاتة الكريمة ليخصني الملك بها ؟!

قال « ابن نباتة » دهشا :

— لله أنت ، يا نصير .. أشيئا غير ذي أهمية أتيت بانقاذك الأمير الظافر من مؤامرة استهدفت حياته ؟!

— بطولة الأمير الظافر أنقذته .

— وجراحك هذه .. أما هي من بطولة أضفت بها وبأدبك الى ثروة أيك المادية ثروة ضخمة من الشرف والمجد ؟
قال أبو الحسن مرتاحا :
— الحمد لله .. أخذ وأبقى ، أخذ شيئا فانيا ، وأبقى شيئا لا يفنى .

ولم يفهم « ابن نباتة » ما يعني . وقال :
— ما أخذ الله . يا أبا الحسن ؟
أجاب متضحكا :
— لا شيء . لا شيء .
وقال لولده :

— حدثه ، يا نصير .. حدثه عن الأدب والشعر وأنا منصرف الى بعض شؤني ، على أن نعود الى الاجتماع لتناول الطعام . قال هذا وراح .

وقال « ابن نباتة » لنصير مهتما :
— لم أفهم قول أيك .. أتكون قد نزلت به خسارة مالية ؟
قال نصير مكتئبا :
— لم يبق لأبي مال .

دوغميت « ابن نباتة » بقوله ، فتهتف :
— كيف .. كيف ذلك ؟
— لأبي ثلاث سفن توءمن نقل بضائعه ومحصولات أراضيه لعملائه عبر البحار . وقد ثارت الأنواء على إحدى سفنه ، وأغرقتها بما فيها .
— خسارة جسيمة .

— وتجمال بالصبر عليها .. وإذا هو يفاجأ بأخرى ، اذ شبت النار بواحدة من سفنيتيه الباقيتين في عرض البحر ، والتهمتها بما فيها .
— لا حول ولا قوة الا بالله ..

— وثالثة الأثاني كانت باستيلاء القرصان على سفنيتيه الثالثة والأخيرة ، وفيها البقية الباقية من ماله وأمله .

— كارثة والله ، كارثة .
— وما يزيد في هول هذه الكارثة الديون المستحقة عليه ، والتي يأبى الا أن يوفيهما في مواعيدها ، ولو اضطر الى بيع داره . قالها نصير والأسى يغمره . فتهتف ابن نباتة :

— دار أبي الحسن تباع ؟
قال نصير :
— وقد تباع مكتبتني كذلك .

ولم يبق في نفس الفقي مكان للأسى . فإذا هو ينتفض انتفاضة من يأنف الشكوى لدى الكوارث ، ويتابع قائلا :
— وما هم .. شرف أبي الحسن لا شيء في الدنيا يوازيه .

قال المعتمد ، وقد أصغى الى ما نقل اليه « ابن نباتة » من أمر أبي الحسن والكارثة التي نزلت به مهتما :
— انا لله وأنا اليه راجعون .. كبير تجار الأندلس . وأحد عناوين ازدهاره الاقتصادي نزل به كارثة كهذه ونقف منه موقف المتفرج ؟!

وتابع ، وقد اعتزم أمرا :
— لا ، يا ابن « نباتة » .. على « أبي الحسن » ديون وله ديون ، وليس من العدل أن يفي دائتيه ما استحق لهم ، ولا يفيه دائتون ماله رهن الاستحقاق عليهم .
قال « ابن نباتة » :

— ليس من العدل هذا ، ولكن .. يبدو يا مولاي أن ما له على الغير أقل بكثير مما لغير عليه .
قال المعتمد :

— في حسابه خطأ يا « ابن نباتة » .
قال « ابن نباتة » دهشا :

— كيف يا مولاي ؟
— ذلك أنه لم يدخلنا ، سهوا أو كرما ، في عداد مدينه .
— أنتم يا مولاي ؟
— أليس دينا على « ابن عباد » ما فعل ولده ، والدم الذي أراقه هذا في سبيل ولدنا الظافر أغلى من أن يقدر بمال ؟
— أي ، والله .

— ودين على الأندلس عمر قضاها ذلك الرجل في العمل . لا دينه يأخذ عليه انحرافا عن الحق ، ولا دنياء تفقر الى مكرمه يقوى على اتيانها ويتخل بها يده . فعلى « ابن عباد » والأندلس معا أن يفيا دينه قضاء لحقه . قال « ابن نباتة » :
— بقي أن يعترف هو بهذا الحق لنفسه .

قال المعتمد منتفضا :
— ويحك . يا « ابن نباتة » .. أليكون لأبي الحسن رأي غير رأي الملك في الحق ؟

قال ابن « نباتة » :

— لأبي الحسن في الحق رأي لا يتنازل عنه ... الحق عنده أن يعطي مالا ويأخذ مالا . وأما أن يعطي من دمه ولاء للمليكة ، وأن يبذل مما ملكت يده ارضاء لربه ، فشرف لا يتنازل عنه لقاء كل ما في خزائن الدنيا من مال .

قال المعتمد مصرا :

— ولن تتنازل نحن عن رأينا في اغائته .. تدبر الأمر وأنت صديقه ، ولا تسأل بيت المال عما تأخذ منه ، على شرط أن يكون لرأينا في الحق الغلبة على رأيه .

الزمنة أبي الحسن في ذروتها . وما أن انتشر نبأها حتى تضاربت الآراء فيها وفي صاحبها . وكثر الشامتون ، ومعهم طلاب المكاسب ، ممن دأبهم انتهاز الفرص لتضخيم ثرواتهم .

وأقبل الوسطاء يتوسطون ويسامون . وأغضب ذلك أبا الحسن ، فقال لأحدهم وقد جاء يساومه على داره :
— ما عرضنا دارنا للبيع أيها الوسيط ، ومع ذلك فأني ثمن تساوي في نظرك ؟
قال الوسيط :

— عندي من يشتريها بثلاثين ألف دينار .
— لا أكثر ؟
— قد أقنع المشتري بزيادة خمسة آلاف .
— بارك الله فيك .
— وعندي كذلك من يشتري مكتبة ولدك .
— ومكتبة ولدي أيضا ؟
— ما دامت ستعرض للبيع ، فالأفضل أن تباع اليوم بالثمن الجيد من أن تباع غدا بالمزاد في سوق الدلالة .

وفقد صبر « أبي الحسن » ، فصاح :
— على رسلك ، أيها الوسيط .. لم تبلغ الكارثة تمامها ، ولم يقطع أبو الحسن أمله بعد بالله ، وستدعوك الى نجدتنا يوم نحتاج اليك .
ما كاد الوسيط يمضي حتى كان أحد خدم الدار يستقبل شيخا مغربيا على الباب .

وقال الشيخ المغربي :
— أهذه دار « أبي الحسن » التاجر ؟
أجاب الخادم :



— هي بعينها ، يا سيدي .
— الله ، الله .. انها فوق ما كنت أتصور
فخامة وروعة .

وتابع الشيخ قائلا للخادم :

— وأبو الحسن هنا ؟

أجاب الخادم :

— في الدار ، يا سيدي .

— والفتي الجالس هناك ، في طرف الحديقة
من يكون ؟

— هذا ولده « نصير » .

— بارك الله فيه .. وأنت ؟

— واحد من خدمه .

— أيستقبلني سيدك زائرا ؟

— على الرحب والسعة .

— هكذا ، دونما استئذان ؟

— ما عودنا سيدي « أبو الحسن » الاستئذان
لزائريه ، وكل من وطأ عتبة داره أصبح ضيفا
عليه ، فتفضل يا سيدي الشيخ بالدخول .

— يا مرجبا ، يا مرجبا بالزائر .

أبو الحسن للشيخ المغربي ، وكأنه
غير من دارت به الأيام ، وجرده
من كل ما كان يساعده على توفير أسباب
الأكرام لزائريه .

وغمر الارتياح الشيخ ، وقال :

— ما بالغ واصفكم لي ، يا سيدي التاجر .

— وما قال واصفي لكم ؟

— ما عرفت أشبيلية ولا الأندلس خلقا أبهر
بالناس من خلقكم ، ويذا أندى بالمعروف من
يدكم ، وجنانا أثبت إيماننا بالله وبما أوصى
تعالى من جنانكم .

قال أبو الحسن متضاحكا :

— وما بالغ واصفي بكل هذا تقول ؟!

وأردف قائلا :

— غريب أنت عن أشبيلية .

قال الشيخ :

— مغربي أنا .. أنعم الله عليّ بالمال الكثير .
وحرمني الأهل والوراث ، ولذا تراني أخا سفر
وجوابة آفاق ، وفي مدينتكم أقيت عصا
الترحال ، وطابت نفسي الى الإقامة .

— من حسن حظ مدينتنا هذا .

— وغير مرة مررت بداركم واستهواني حسناتها ،

وتمنيت لو أن لي دارا مثلها .. أيسمح سيدي
بأن أعرض الثمن الذي أقدره لها ؟

وانفضض أبو الحسن لما سمع . أبعد الوسيط
يساومه الشيخ هذا على داره ؟ وتمالك قائلا :

— أقبل لكم يا سيدي الشيخ أن داري معروضة
للبيع لتساوموني عليها ؟

قال الشيخ معتبرا :

— عفوك ، يا « أبا الحسن » .. ما أنا بالمساوم ،
ولا أنت من يرى غضاضة في المتاجرة ، والدار

كغيرها من متاع الدنيا تشرى وتباع ، وما ضر
أن يأتلك من يشتريها بمائة ألف دينار ؟

— بمائة ألف دينار ؟

هتف « أبو الحسن » دهشا ، فقال الشيخ :

— تستقلها ؟

— أستكرها .

— دعني اذن أنفدك اياها .. هذا عقد من
اللؤلؤ يساوي قيمتها وأكثر .

— ولكن ، يا سيدي ..

— دعني أكل .. خذ هذا العقد ثمننا لدارك ،
وأنا على أهبة سفر الى بلاد الفرنجة ، وما أدري

ما يكون مصيري خلال هذا السفر ، فاذا عدت
تسلمت الدار منك ، واذا لم أعد تبقى لك
دارك حلالا .

وتعالت ضجة في الحديقة وصوت يقول :

— حياك الله ، يا نصير .. لنا الى الوالد حاجة ،
فهلا أذن لنا بعرضها عليه ؟

وقال « أبو الحسن » للشيخ المغربي :

— شراع في النهر ، وجماعة .. انتظر يا سيدي
لأرى ما حاجتهم اليّ وأعود .

الى حيث كان ولده جالسا في
الحديقة ، فسي مكان غض

الأشجار على ضفة نهر ، وفي النهر زورق
يحمل جماعة ، ما أقبل عليهم ، حتى قال

من كان يبدو أنه كبيرهم :

— السلام عليك ، يا أبا الحسن .

وتابع قائلا :

— لدينا كمية وافرة من الزيت الأشبيلي رييحة
الصفقة ، وليس لها سواك فهلا أقدمت كعادتك
في الاقدام عليها ؟

قال « أبو الحسن » مرتبكا :

— كمية وافرة من الزيت .. وما ثمنها ؟

قال رجل الزورق :

— لن نختلف على الثمن .. أحزم أمرك ،
ودعنا نعتبر الكمية داخلة منذ الآن في حسابك .

قال الرجل هذا وراح بزورقه .

« أبو الحسن » يفكر . وما

وهو في الدار يسأل عن الشيخ المغربي ..
وشدّ ما كانت دهشته ، عندما علم أنه
غادر الدار ، وترك عقد اللؤلؤ الذي عرضه
ثمنها لها .

لقد اشترى الدار اذن ، فبا له من شيخ غريب .
وعبثا حاول « أبو الحسن » حل اللغز ، الا أن

إيمانه جعله يستسلم للأمر الواقع ، فقال :

— من لدنك يا رب أتسى هذا الشيخ ،
وبمشيتك انتقلت داري كما انتقلت اليه ، فأنا
ضيف عليه الى أن يعود ، وان لم يعد فأنا
يا رب ضيف عليك .

وما أوحى اليك بهذه الحيلة ، يا « ابن نباتة » ؟
قالها المعتمد مرتاحا ضاحكا .

« ابن نباتة » كان الشيخ المغربي الذي اشترى
دار أبي الحسن بالعقد الثمين ، ومن جماعته
كان رجال الزورق أصحاب الزيت الوفير .
والحيلة كانت مبتكرة .

قال الشاعر :

— ارادة الملك أوحى بهذه الحيلة اليّ ، وفي
وسع « أبي الحسن » انتظار الشيخ المغربي الذي

لن يعود ، وهكذا نكون قد أعنّاه من غير منّة .
وما تخشى أن يحتفظ بالعقد أمانة ولا

يتصرف به ، فتضيق الغاية التي توحيته من
حيلتك ؟

— كلا ، يا مولاي .

— وما أدراك ؟

— ذلك أنني تقدته ثمن داره وما قال لا ،
وتركته أمام أمر واقع لا حيلة له في التراجع عنه .

وأحت له صفقة رابحة بالزيت الذي دخل في
حسابه . قال المعتمد متهللا :

— الحمد لله .. وفينا دين الوالد على الأندلس
نقدا ، ودين الولد علينا نقيه بالشكر ، فربّ

كلمة شكر يجد الأديب فيها ما لا يجده في
المال من معاني الوفاء .

النظرة

للشاعر محمد أحمد العزب

ودموعي زفرة تنهيك
ولأجل جراحاتي .. عودي
فألزورق هل مع الموج
والرياح .. وليل الأنهار
أحرق الأرض الخلاقة
والهوة حبا وصداقة
وجراح تعموي .. ونحب
وكتاب مفتوح راعب
لغريب أبهر لم يرجع
بدموع الطفل المكوبة
وشواطي تبكسي وضاف
يحضر لاساء الصفاف
في يده قلم .. ودفاتر
تتأود عشقا وصبا
ومضى يهديها أنفاسه
وشوشها أحلام شبابيه
وايتلع الموج حبيبته!
والأفق الدامع غيمان
فيصيح الأخضر .. والصلد
فرأى الأسماك به تشمل
يبتسم حياة الأحياء
شعرا .. للبحر .. ولفن
تعطفها ... فتدفتاتي
وأراق مع الفجر دموعه
وغفافني القمة .. والدرك
ويلوب بكل عذباته
ويقبل حتى عينيه
أنفاسا تحلم باللقيا
تبحث في الشاطيء عن غنوه

أشواقني فسرط عناليدك
فلأجل عذابات قيودي
رشي عطفواتك في مرجي
ويقال بأن الأعصار
أطفأت الشمس الالاف
وأقامت بين أمانينا
في المرفأ .. خف مشقوب
وليص مهترى شاحب
وخيال يبكيه الموضع
وهناك رسائل مكتوبة
أحرفها شوك .. وجفاف
وشكاة وباب رعاف
معناه : حظ هنا شاعر
وفتاة تحمل شبابيه
غنماها الشاعر أحلامه
وبكل ضراعات وبابيه
فأضل البحر مفينته
يوما .. والعالم ذهلان
أصفي .. فرأى طيرا يحلو
أصفي .. لخريف في الجدول
أصفي .. فاذا كل غنما
فأفاق .. ورد .. سأغني
من يدري .. فلعل شكاتي
وأذاب مع الليل شموعه
ومضى في الشوك .. وللشوك
وجشا يتناف جراحاته
ويهمز الموج بكفيه
ويغني .. ويضي الدنيا
فانشق البحر عن الحلوه

تأليف : الدكتور بنت الشاطي
عوض وتحليل : الأستاذ عزت محمد ابراهيم

علاء الدين

وكم أثرى الحزن الأدب وأخصبه منذ كانت
الحضارة وابن الرومي ، وكان عزيزاً أباطه
الرحمن صدقي وبنت الشاطيء ، في يوم
يبحث الله الناس الى ميقات يوم معلوم .

وتنضم الذكورة المؤلفة ماضي حياتها منذ استطاعت أن تعي ما أثبت عليه الذاكرة وما وعته من أحداث الزمان . أو من أحاديث الأقدمين العارفين حين يتحدثون عن الأسرة ومكانتها والبيت القديم على شاطئ النيل . وربما تختلط الخيال بالواقع . ولكن بقي على أي حال خطوط عريضة تنبئ عن السأة الأولى . وتنضم عن الأصل ليعود .

لقد رصعت لسان الحزن صغيرة تحبو حين
تستمع الى حكاية غرق جدتها في ماء لنهر .
وحين ترى دموعها تسبح على عينيها من
لوعة وكمد . وهي تقص عليها الحكاية الحزينة .
وحديث الدكتور عن حياتها حديث خاص

لكنني قد قرأت في إحدى المجلات فصلاً من فصول كتاب « على الجسر » للدكتور « بنت الشاطي » ، تتحدث فيه عن شطر من حياتها الذي اتصلت فيه أسبابها بأسباب أستاذها وزوجها الشيخ أمين الخولي — رحمه الله.. ويصلي الكتاب فأجد على غلافه عنوانين هما : « على الجسر » ، و « أسطورة الزمان » .

فأي أسطورة تلك التي تعنيها الذكورة ؟
أهي أسطورة كلفها بأستاذها وزوجها ؟
جميل أن يبلغ الوفاء بالناس هذا المبلغ ،
وجميل أن تعبر كاتبة أدبية عن عاطفتها - حين
تجيش - هذا التعبير .

وفي الناس آلاف وآلاف تعاهدوا على
الاحلاص والوفاء ، لا يهنا للواحد منهم عيش ،
ولا تطيب له حياة بغير أليفه وزوجه الذي يسكن
إليه ، فيجد عنده الراحة والهناء .. فان كانت
كل قصة من هاتيك القصص أسطورة ، فنحن
حقا نعيش في زمن الأصاغر

بها ، وهو أيضا حديث عام يمس من قريب أو بعيد ما كانت تلقاه الفتاة في أوائل هذا القرن من نصب وتعب في تعليمها واختلافها الى المدرسة ، وما كان ينتاب ولي أمرها من توجس وخيفة من هذا الجديد الوافد من بعيد : مدرسة للبنات يختلفن اليها ، ويتلقين صنوف العلم بين جدرانها .. وما اعتادوا لها تعليما الا في عقر الدار ، أو في كتاب يعلم القرآن ومبادئ الكتابة والحساب . وتعلمت الفتاة في المدرسة ، واتصلت بالصحافة فكانت الكاتبة المرجوة لمستقبل مأمول ، وأتيح لها أن تمضي في الشوط الى أبعد أماده ، فتذهب الى الجامعة ، تلك التي قدر لها أن تحتضنها طالبة وأستاذة قد طاب لها المقام بين قاعاتها وأروقعتها ، فلا تريد منها فككا أو افلاتا .

ولعل الصحافة قد أغرتها واستهوتها ، ولعل الحياة العامة قد نازعتها ، ولكن للجامعة سطوة أقوى وأشد ، ومن عرف لذة البحث ومتعة الدرس ، والحرص على الافادة والنفع ، فهيئات أن تغريه من دنياه مغريات .

وقد كانت الصحافة جديرة بأن تغريها وتستهيروها ، وهي تفسح لها صدرها ، وتوسع لها من صفحاتها ، وتوطيء لها الأكناف ، وتذلل لها المصاعب والعقبات ، فتتيح لها صحيفة الأهرام أن تحتل الصفحة الأولى منها ، وهي بعد في بواكير حياتها ، لم يشتد منها العود ، ولم تقو منها العزيمة ، ولم تعرف من آفاق الفكر والثقافة غير الزر اليسير .

وأين ما كانت تكتبه حينذاك من كتبها ودراساتها اليوم ؟ .. بون شاسع بين الحالين لا مراء . أثرها كانت تصل الى غايتها المقدرة لو جرفتها الصحافة حينذاك فسي تياراتها وغمرتها بلألاء أضوائها ؟ لا أظن ، ولا أحسبها هي أيضا تظن ، وقصارى ما كانت تبلغه من دنياها بعد زمان طويل أن تصبح واحدة من صحفيات عديدات ، مغفورات أو مشهورات . وليس أقدر من دوامة الصحافة على ابتلاع كل ذي مقدرة في مجالات الأدب والفكر .

استقلت عائشة عبد الرحمن بالتدريس ، قد انصرف ذهنها عن الجامعة الى حين ، وما هذه الجامعة التي لا يتهاى الالتحاق بها الا لمن درس لغة أو لغتين ؟ ، وأنى لها ذلك وهي التي لم تعرف غير لغة القرآن درسا ولسانا وتحصيلا ، فلم ينحرف لسانها يوما عن لغة الضاد ، ولم ترطن يوما رطانة الأعجمين .. فليكن اذن انصراف الى حين .

وإذا كان اسم الجامعة قد وقع على أذنيها موقع الغربة والدهشة ، فهي الجامعة التي قدر لها بعد ذلك أن تلتقي فيها بشيخها وزوجها ، وكأن كل شيء قد رسم بدقة واحكام .

والتحقت بالجامعة بعد حين مقدور ، في نجوة من الأهل والأقربين ، وقد كانوا يحسبونها بدعة من البدع .

لمس يتح لها لقاء أستاذها في السنة الأولى في الجامعة ، فلم يقدر لها التلمذة عليه في عامها ذلك ، ولكن دوي اسمه كان يملأ سمعها من شكاة الطلاب توجعا من صرامة منهجه وشدة ، ودقة حكمه وتقييمه . وتسمع ما تسمع فترجع السبب في ذلك الى ضعف الطلاب لا الى شدة الأستاذ ، ولو كانوا قد درسوا ما درست هي من علوم اللغة ، ولو طالت صحبتهم كما طالت صحبتها للسكاكي والقزويني والسبكي والطبري ومن لف لفهم ، ما كانت هناك شكاة ولا أنة . ثم عرفت بعد ذلك أي غرور كان يملأ جوانحها . والغرور يملأ الجوانح ما عاش المبتلى به في الأفق الضيق والحيز المحدود ، يحسب ما حصل من علم هو غاية المطاف ، فإذا جاوز أفقه واستشرف آفاقا أخرى رجبة فسيحة ، علم أي غرور كان يرين على نفسه .

وجمعتها قاعة الدرس : تلميذة بين غيرها من التلاميذ ، وأستاذ له من المهابة قدر ملحوظ ، وعرفت في لقائها الأول أي قشور تلك التي أمضت حياتها في تحصيلها ، وهي تحسبها للباب كل الباب .

كانت تقرأ مباحث الأقدمين قراءة عابرة سريعة حاسبة أنها قد بلغت منها غاية ما ينبغي وقصارى ما يستفاد ، وبين ما كانت تعرف وعرفت أمد قصي ، تعلمت بعده كيف تطيل النظر في النص الواحد لا تعدوه الى غيره حتى تحسن فهمه وتمثله واستيعابه ، وربما أمضت شهورا تمعن النظر في كلمة واحدة فقط من كلمات القرآن الكريم ، تستجلي منها سر الاعجاز ومكامن القوة . لقد علمها أستاذها كيف تقرأ ، ثم كيف تكتب ، فأحسنت الافادة والانتفاع أو بلغت منهما غاية المستطاع .

وهو استدراك أريد أن أصل منه الى مبلغ ما انتفعت به . هي ولا شك قد أفادت في باب المنهج أناة وروية في البحث والدرس ، تجد أثره في كتبها « الغفران » و « الحياة الانسانية عند أبي العلاء » و « التفسير البياني للقرآن الكريم » .

لما من ناحية التاريخ وتراجم الشخصيات ، فقد كان منهج الخولي فيه أشد صرامة وأعتى قوة ، وأعصى على الطاعة والانقياد ، وكان هو لباب الاختلاف بينه وبين العقاد ، كان الخولي يرى تنقية التاريخ من الشوائب والخواشي والمرويات ، وعرض الترجمة كما هي بنقائصها وفضائلها ، وعلى نحو آخر كان يراها العقاد ، ولعل في تقديم الخولي لكتاب بنت الشاطيء « سكينه بنت الحسين » بعض بيان لمنهجه :

« التاريخ اليوم درس دقيق ينفذ الى ما وراء الأحداث المسرودة ، وما خلف الأخبار المروية ، ليستشف العوامل التي تسيرها والمؤثرات التي تتحكم فيها ، والتاريخ لذلك لا يتلقى الأخبار في استسلام ، ولا يتقبل المرويات في تساهل ، بل يفحص ذلك كله ويختبره وينقده ، ثم هو بعد ذلك يربط بين السابق منها واللاحق ، يرد المسبب الى سببه ، ويبين المقدمة التي أدت الى النتيجة ، ويهتدي في ذلك بما عرف البحث الأصيل من حال الاجتماع البشري ، والسنن المقررة لحياة المجتمعات الانسانية .

وإذا كان هذا هو شأن التاريخ اليوم ، فإن القارئ يدرك اذن في وضوح أن الأخبار التي حفظتها تلك المؤلفات ، أو الموسوعات الأولى ، ليست هي التاريخ ، وانما هي مادة التاريخ ونخامات دراساته .. »

هكذا عرفت الدكتورة بنت الشاطيء أستاذها ، وهكذا عرفه تلاميذه العديدون ، ومنهم من أصبحوا أساتذة في الجامعة يبيجلونه ويحترمونه ، تبجيلهم واحترامهم له ، وهم في صفوف الدرس لا يزالون ، ثم لا يكفون عن الاشادة بذكرك ، والتهلج بفضله ، في كل مقام يأتي فيه ذكره على لسان . ومن ذلك أن الدكتور عبد الحميد يونس كان يكثر من الاشادة به ، والاعتراف بفضله ، وله ابن صغير كأنما ضاق بهذا الاكثار من ذاك المديح والثناء ، فقال في براءة الأطفال ، وعلى مسمع من حضور ، كنت أنا من بينهم :

— كيف يكون أستاذ لك ، وأنت دكتور ، وهو ليس بدكتور ؟

وضحك الحاضرون ، ورد الدكتور على منطق ابنه الصغير يقول :

— أستاذ يا بني أستاذ .
يفخمها ويضخمها ويملاؤها بشدقيه ، وكأنه لا يجد غيرها ردا .

الحكمة الأكاديمية في العلم الغربي

• منذ ثلاثين عاما يعكف العلامة الدكتور يوسف أسعد داغر على اعداد معجم فرنسي - عربي يليجي حاجات الدارسين ويستوفي مطالب العلم والتقدم الحضاري الحديث . وقد أوشك هذا العمل على تمامه ، ويتنظر ان يقع في نحو ١٧٠٠ صفحة من القطع الكبير وأن يشتمل على أكثر من ألفي رسم توضيحي .

• من كتب المصادر التي ظهرت أخيرا كتاب « فهرس المقتطف » وهو يقع في ثلاثة اجزاء كبيرة تضم فهرسة كاملة لمجلة « المقتطف » التي تولى صدورها ٧٥ عاما واحتجبت في سنة ١٩٥٢ . وقد أعد هذا الفهرس الدكتور أحمد موسى ، وأكمله بعض أساتذة الجامعة الأمريكية ببيروت ، وصدر باشراف الدكتور فؤاد صروف الذي تولى بنفسه رئاسة تحرير « المقتطف » ربع قرن بعد وفاة منشئها الدكتور يعقوب صروف .

• أصدر الشاعر اللبناني الأستاذ بولس سلامة كتابا جديدا حافلا بالنظرات العميقة في مجالات الأدب والفكر والاجتماع اطلق عليه عنوان « ليالي الفندق » ، وجعل الحديث فيه مساجلة بينه وبين صديقين .

• من كتب التراث التي صدرت أخيرا « حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة » لجلال الدين السيوطي وقد حققه في جزءين ضخمين العلامة

الأستاذ محمد أبو الفضل ابراهيم ، و « الحجة في علل القراءات السبع » لأبي علي الحسن بن أحمد الفارسي وقد صدر جزؤه الأول محققا بأقلام الدكاترة علي الجندي ناصف ، وعبد الحلیم النجار ، وعبد الفتاح شلبي ، و « رسائل الصابني والشریف الرضي » تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم ، و « نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب » للمعري وقد حققه في ثمانية أجزاء مفهومة الدكتور احسان عباس ، و « مجالس العلماء » لأبي القاسم عبد الرحمن الأنباري وقد حققه الأستاذ عبد السلام هارون ، و « المصون في الأدب » لأبي الحسن بن العسكري ، وهو أيضا من تحقيق الأستاذ هارون ، و « التحير في التذكير » لعبد الكريم القشيري وقد حققه الدكتور ابراهيم بسونفي .

• صدرت طبعة جديدة للكتاب المشهور « تاريخ الصحافة العربية » للفيكونت فيليب دي طرازي ، ويسجل هذا الكتاب تاريخ الصحافة في الديار العربية الى ما بعد الحرب العالمية الاولى . كما أصدر الأستاذ فايق بطي كتابا جديدا بعنوان « صحافة العراق » تاريخها وكفاح أجيالها » محاولا به اتمام العمل الذي بدأه والده الراحل الأستاذ رفايل بطي في تسجيل تاريخ مفصل لصحافة هذا القطر .

• من بين الكتب التي صدرت أخيرا عن ليبيا ، هذه المجموعة « تاريخ ليبيا » للدكتور احسان عباس ، و « ليبيا في كتب الجغرافية والرحلات » و « ليبيا في كتب التاريخ والسير » للدكتور عباس أيضا بالاشتراك مع الدكتور محمد يوسف نجم .

• من بين الكتب التي تبحث في التراجم والسير صدرت هذه الطائفة : « أبو جعفر المنصور » للأستاذ علي أدهم ، و « سيف الله خالد » للأستاذ علي الجندي ، و « هيجل » للأستاذ عبد الفتاح الديدي ، و « البحث عن شكسبير » للدكتور لويس عوض ، و « ابن مقرب - حياته وشعره » للأستاذ عمران محمد العمران .

• من الدراسات الأدبية الجديدة التي صدرت مؤخرا « اعترافات أبي نواس » للاديب الراحل كامل الشناوي ، و « تاريخ الفكر المصري الحديث » للدكتور لويس عوض ، و « دراسات في الأدب والفن » للأستاذ نجم الدين الكيب ، و « الفكر الألماني » لادوارد سبنلي ، وترجمة الأستاذ تيسير شيخ الأرض ومراجعة الدكتور أسعد درقاوي . و « الوضع العام في بلاد الشام

في القرن الثامن عشر » للدكتور أسامة عانوتي .

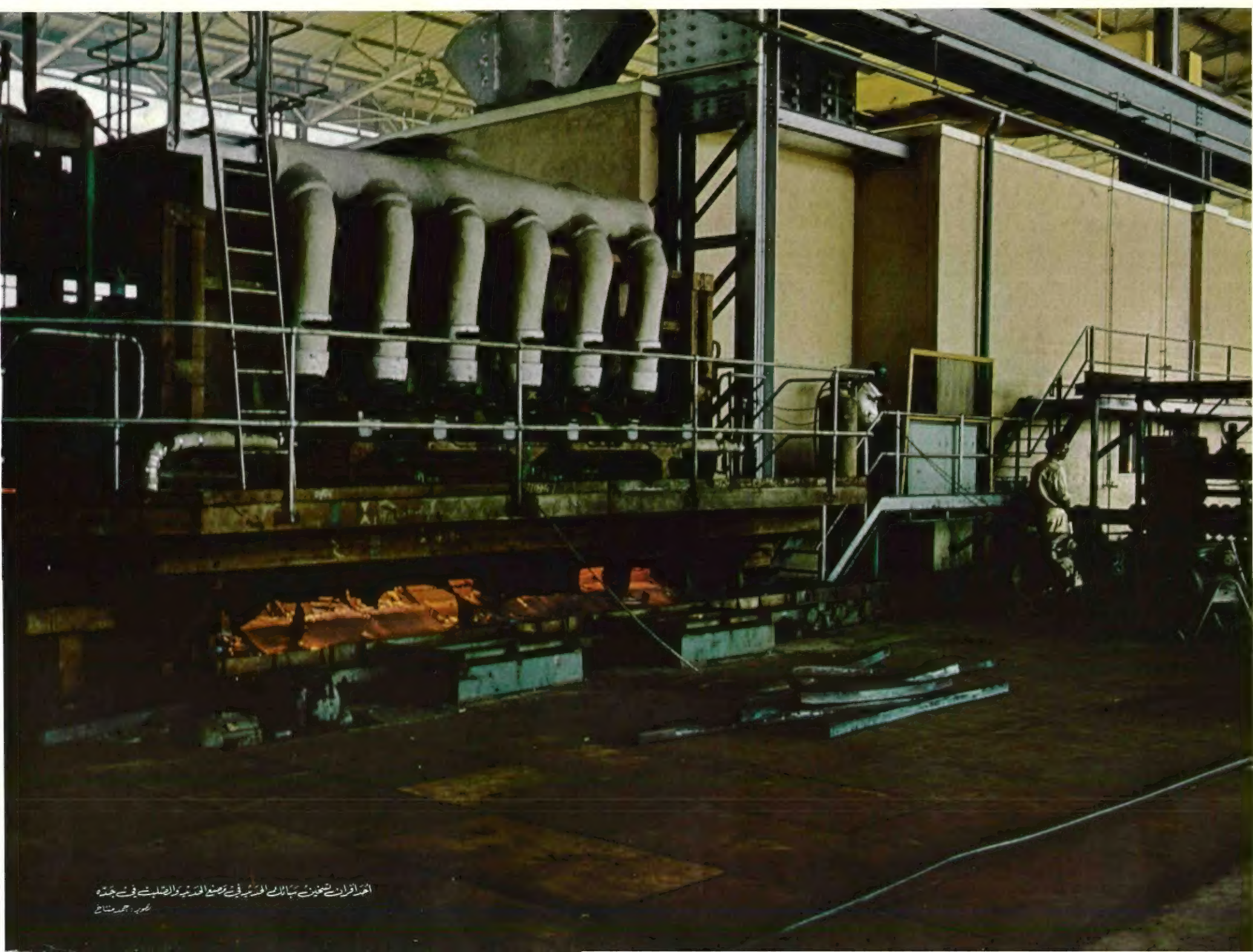
• من الدواوين الشعرية الجديدة التي صدرت أخيرا « بحيرة العطش » للشاعر السعودي الكبير الأستاذ حسن عبدالله القرشي و « أضاميم الأصيل » للأستاذ حامد حسن ، و « حجر الحب وقصائد الفرح » للأستاذ جورج غانم .

• وفي الأدب الروائي بأبوابه المختلفة صدرت مجموعة من الكتب ، منها المجلد الثالث من مسرحيات « راسين » باشراف الدكتور طه حسين ، ويضم هذا المجلد مسرحية « بازيد » ترجمة الأستاذ بسيم محرم ومراجعة الأستاذ عبد الحميد الدواخلي وتحقيق الأستاذ ايليا نعمان حكيم ، ومسرحية « ميتريدات » ترجمة الأستاذ ألفريد بلدي ومراجعة الأستاذ الدواخلي وتحقيق الدكتور محمد محمد القصاص ومسرحية « ايفيجيني » ترجمة الدكتور مصطفى ماهر ومراجعة الدكتور يحيى الخشاب وتحقيق الأستاذ الدواخلي . كذلك صدرت مسرحية « بعد الغمام ينزل المطر » تأليف الدكتور شحاته آدم محمد ، ومسرحية « رحيل آخر الليل » للأستاذ محمود الخطيب . كما صدرت رواية طويلة للأستاذ محمد عبد الحلیم عبدالله عنوانها « لازمن بقية » ، وصدرت مجموعتان من الأقاصيص هما « أربطوا أحزمة المقاعد » للأستاذ أحمد ابراهيم الفقيه و « دماء في الصبح الأغبر » للأستاذ وليد اخلاصي .

• من الكتب العلمية الجديدة التي صدرت حديثا الجزء الأول من كتاب « أنثروبولوجيا الاجتماعية » للدكتور علي اسلام الفار ، و « الانسان وعمران الأرض » للدكتور فيليب رفة والأستاذ أحمد سامي مصطفى ، و « مبادئ الكيمياء الصناعية » للدكاترة مدحت اسلام و رفعت ابراهيم وسيد علي حسن ، و « الكيمياء العملية » للدكاترة محمود زيد وسعد الدين زيان وطلعت شفيق ، و « الفيروس » للدكتور محمد عزيز فكري ، و « تقييم الأغذية ومراقبة جودة الانتاج » للدكتور محمد ممتاز الجندي ، و « البكتيريا » للدكتور مصطفى أبو الذهب .

• صدر الجزء الأول من كتاب « مناهج وأساليب في التربية والتعليم » للأستاذ الياس ديب .

• من الكتب الاسلامية التي ظهرت حديثا « المصلحة في التشريع الاسلامي » ، و « من هدي السنة » وكلاهما للدكتور مصطفى زيد ، و « أدب السياسة في العصر الأموي » للدكتور أحمد محمد الحوفي .



اندر افران صنعتی سہا ایلک اندریہ فیہ صنعتی اندریہ والا سلبہ فیہ جندہ
نومبر ۱۹۵۵

...يَخْرُجُ مِنْ بَطْنِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ۚ

(قرآن کریم) سورة النحل - آية ٦٩

(راجع المقتال)

تصویر بر پایه موریت

